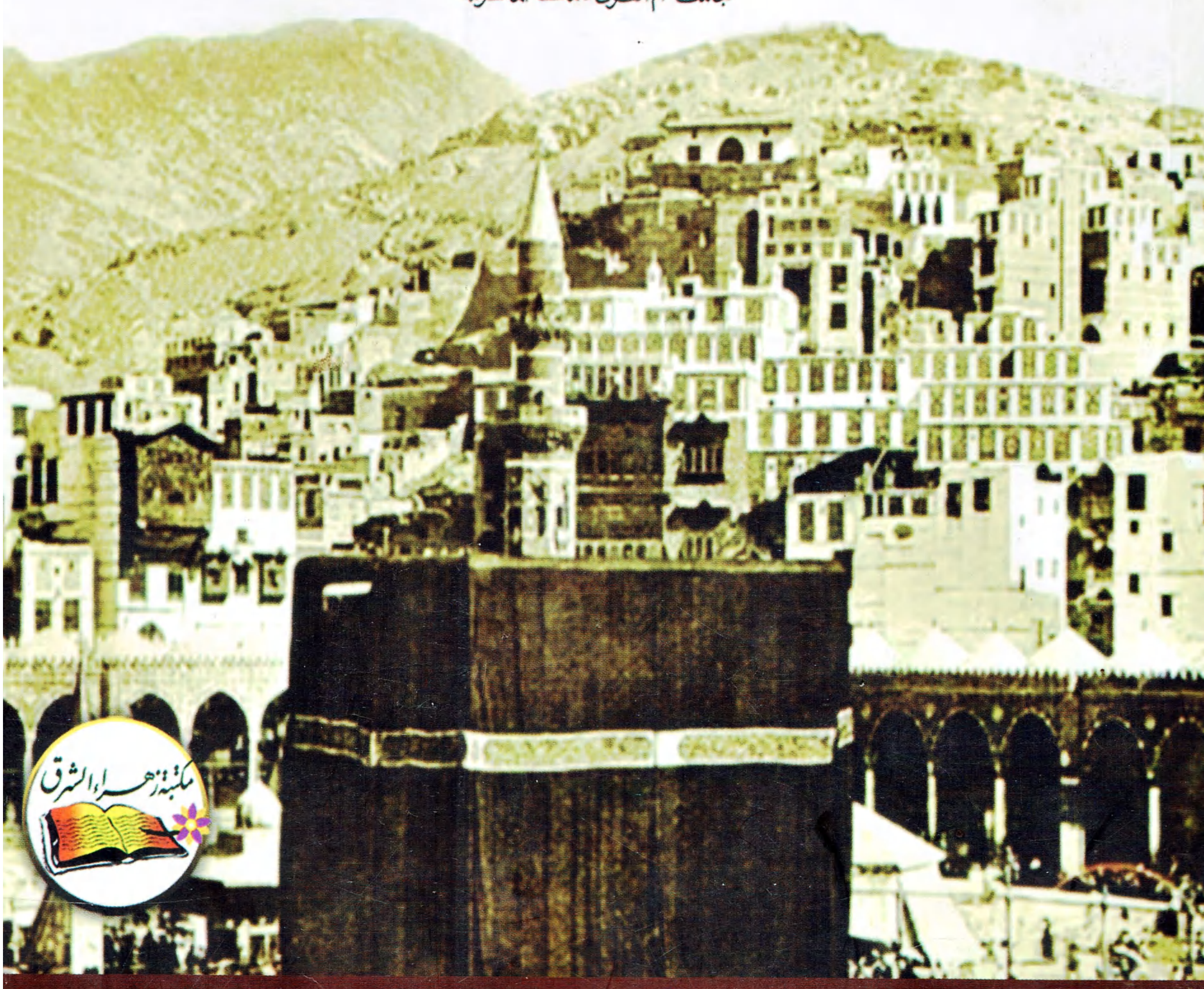
النكت الظراف فى الموعظة بذوى العاهات من الأشراف

تقديم وتحقيق

د. لمياء أحمد عبد الله

أستاذ التاريخ الإسلامى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة أم القرى - مكة المكرمة



النُّكَت الظِّراف في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف

تقديم وتحقيق

الدكتورة/ **لمياء أحمد شافعي**

أستاذ مساعد - جامعة أم القرى
مكة المكرمة

مكتبة زهراء الشرق للنشر والتوزيع

١١٦ شارع محمد فريد ـ القاهرة

الناشر



اسم الكتاب: النكت الظراف في الموعظة بذوى العاهات من الأشراف

تقديم وتحقيق: د. لمياء أحمد عبد الله شافعي

رقم الإيداع: ٢٣٣٨٩

الترقيم الدولي:
I.S.B.N
978-977-314-440-1

الطبعة الأولى ٢٠١٤

المراسلات:

١١٦ شارع محمد فريد ـ القاهرة

جمهورية مصر العربية

التليفون: ٠٠٢٠٢٢٣٩١٣٨٥٩

فـاكس: ٠٠٢٠٢٢٣٩١٣٣٥٤

المحمول: ٠٠٢٠١٢٢٣١٧٧٥١٠

البـريـد الإلكترونـي:
Hagagbookshop@hotmail.com
الفيس بوك:
HTTP://WWW.FACEBOOK.COM/
ZAHRAAELSHARQ.DARELKAHERA
تويتر:
HTTP://WWW.TWITTER.COM/
ZAHRAAELSHARQ
اليوتيوب:
HTTP://WWW.YOUTUBE.COM/
USER/ZAHRAAELSHARQBOOK

تدمـــــك: ٩٧٨-٩٧٧-٣١٤-٤٤٠-١

شافعي، لمياء أحمد عبد الله

النكت الظراف في الموعظة بذوى العاهات من الأشراف/ تقديم وتحقيق: د. لمياء أحمد عبد الله شافعي،/ط ١ / القاهرة: مكتبة زهراء الشرق للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م.

١٧×٢٤سم

١- الأهاجى والفكاهات العربية

أ- شافعى، لمياء أحمد (مقدم ومحقيق)

ب- العنوان

٨١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

خلال السنة الماضية أمكنني أن أُنجز تحقيق كتاب النُّكت الظِّراف، في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف، وأعانني الله على إتمام ذلك رغم صعوبات النص في نسخته المخطوطة الفريدة بخطها المستعصي. وأشرتُ في مقدمة التحقيق إلى أهمية الكتاب وإلى أنه يحتاج إلى دراسة خاصة به فقلتُ عندها: وإني لا أزال أعتقد أن الكتاب يحتاج إلى دراسة علمية توضح أهمية ما اشتمل عليه من أخبار العصر في مكة المكرمة وتكشف عن محتواه ومنهجه ومصادره، مع عناية خاصة بما أثير حول تأليف هذا الكتاب من خلاف ونقاش حادٍ بين المؤلف من ناحية وبين بعض علماء مكة ومثقّفيها، مما جعل المؤلف يلجأ إلى تحكيم علماء من القاهرة ومن دمشق فإذا هم يعبّرون عن آرائهم ومواقفهم من موضوع الكتاب.

وقلتُ بعد ذلك: إن ما تقدم من تعريف بالمؤلف والكتاب وضع كمقدمة للتحقيق، وإني اعتقد أن دراسة مفصلة للكتاب وتعريفًا أوسع بالمؤلف وظروف تأليفه له يستحقان عناية أكثر وتتبعاً أوسع وهو ما ننوي القيام به إن شاء الله.

وفعلاً عدتُ إلى الكتاب لإنجاز الوعد ولإتمام ما أشرتُ إليه فكتبتُ هذا البحث الذي عملتُ فيه على دراسة الكتاب والتعريف به مع بيان المنهج الذي سلكه المؤلف في إنجازه ثم توضيح مصادره التي اعتمدها بتنوعها وتعدّدها مع تناول ما تضيفه نصوص هذا الكتاب من معلومات تاريخية متعلقة بعصر المؤلف وبعض معاصريه. وهي معلومات مفيدة لمعرفة جوانب اجتماعية في مكة خلال النصف الأول من القرن العاشر مع العناية بقضية أثيرت في المجتمع المكي المثقف حول هذا الكتاب. فقد قام جدل حاد عند ظهور الكتاب بين المؤلف وبعض مناصريه من جانب وبين جماعة من المثقفين وأهل العلم من جانب آخر، ونتج عن ذلك حوار ساخن دام قرابة السنتين ووصلت أصداؤه وآثاره إلى

العاصمة المصرية القاهرة والعاصمة الشامية دمشق للتعريف بوجهات النظر المتباينة حول موضوع الكتاب وتأليفه.

وبذلك تُلقي دراسة هذا الكتاب أضواء كاشفة على نمط الحياة الثقافية في اختلاف وجهات نظر أبنائها وأنماط تعاملهم في ما بينهم.

إن هذا الكتاب ليس إنتاجًا تاريخيًا فحسب، وليس هو فقط كتاب خلاف وحوار حادٍ بين المثقفين، وليس هو كتاب أدبٍ يجمع النصوص الأدبية القديمة فقط، كما أنه ليس كتابا خُصّص للاستشهاد بالروايات الحديثية المناسبة، وإنما هو كتاب يجمع من كل هذه الفنون بطرفٍ بالإضافة فنون أخرى يتكامل بها الكتاب.

واعتقادا مني بأن وجود هذا الكتاب بين أيدي الباحثين من أهل الاختصاص في تاريخ مكة وحضارتها خلال القرن العاشر الهجري يكون مفيدًا ونافعًا، ولعله يفتح آفاقًا للنظر ومجالات لقراءة جديدة في النصوص التاريخية المفيدة في تاريخ البلد الأمين.

نسأل الله التوفيق.

ترجمة موجزة

هو جار الله محمد بن العز عبد العزيز بن النجم عمر بن التقي محمد بن فهد المكي الهاشمي العلوي[١]، يكنى بأبي الفضل ويُعرف بمحب الدين. ولد بمكة المكرمة في شهر رجب سنة ٨٩١هـ ./١٤٨٦م من أم مكية تُنْسَب إلى نفس العائلة، فجدّها الأعلى هو التقي بن فهد.

نشأ جار الله في عائلة قديمة من بيوت العلم بمكة تعدّد فيها العلماء منذ بداية القرن الثامن الهجري عُرف منهم فيه أبو الخير بن فهد المتوفّى سنة ٧٣٥ هـ ./١٣٣٥م[٢] وجمال الدين بن فهد المتوفّى في نفس السنة[٣].

وفي القرن التاسع اشتهر من بني فهد أبو زرعة بن فهد المتوفى سنة ٨٢٦هـ . ١٤٢٣م[٤]، والحافظ التقي بن فهد الجد الأعلى للمؤلف المتوفى سنة ٨٧١هـ ./١٤٦٦م[٥]! والحافظ النجم بن فهد جد المؤلف جار الله المتوفى سنة ٨٨٥هـ . /١٤٨٠م[٦].

وفي القرن العاشر اشتهر من بني فهد الحافظان العز عبد العزيز بن فهد المتوفى سنة ٩٢٢هـ ./١٥١٦م[٧] وهو والد المؤلف، ثم المؤلف ذاته وهو جار الله بن عبد العزيز بن فهد المتوفى سنة ٩٥٤هـ ./١٥٤٧م.

وانطفأت شمعة هذه العائلة العلمية في نهاية القرن العاشر الهجري، فلم يبلغنا عن واحد منها خبرٌ ولا أثرٌ في كتب التاريخ والتراجم وغيرها، حسبما أكّده عبد الحي

(١) هكذا ورد اسمه بخطه في أول وفي آخر مخطوطة كتاب النكت الظراف.
(٢) الفاسي: العقد الثمين ٢: ٢٩٦.
(٣) الفاسي: العقد الثمين ٢: ٧٩.
(٤) نفس المصدر ٢: ٣٤٢.
(٥) السخاوي: الضوء اللامع ٩: ٢٨١ - ٢٨٣.
(٦) نفس المصدر ١٠: ٢٣٨ - ٢٤٠.
(٧) مقدمة كتاب بلوغ القرى دراسة وتحقيق الباحثين: صلاح الدين بن خليل وعبد الرحمن أبو الخيور وعليان المحلبدي.

الكتاني وقال عن آخر المعروفين منهم وهو عبد ارجمن بن عبد القادر بن فهد: ولعله آخر فقهاء ومسندي بني فهد. فإنه انقطع ذكرهم من بعده في الفهارس والأثبات التي وقفتُ عليها[١].

المؤلف:

هو جار الله محمد بن العز عبد العزيز بن النجم عمر بن التقي محمد بن فهد المكي الهاشمي، يكنى بأبي الفضل وبمحب الدين. ولد بمكة المكرمة في شهر رجب سنة ٨٩١هـ ./١٤٨٦م من أم مكية تُنْسَب إلى نفس العائلة، جدّها الأعلى هو التقي بن فهد، فهي إذن ابنة عم والده. نشأ جار الله في بيئة علمية فاهتم به والده وأحضره دروس كبار الشيوخ كالحافظ شمس الدين السخاوي، كما أُحْضِر على غيره من العلماء، بالإضافة إلى ما حمله من العلم عن والده. ثم بدأ رحلاته العلمية وهو لم يتجاوز ثلاثًا وعشرين سنة، فسافر إلى القاهرة سنة ٩١٣هـ ./١٥٠٧م وسافر إلى اليمن سنة ٩١٤هـ ./١٥٠٨م، ثم قام برحلة علمية كبيرة دخل فيها مصر ثم دمشق وذلك في سنة ٩٢١هـ ./١٥١٥م. وتوطدت علاقاته فيها بالكثير من العلماء. وقام برحلة أخرى إلى بلاد الروم (تركيا) في سنة ٩٢٨هـ ./١٥٢٢م، وعاد إليها في رحلة ثانية سنة ٩٣٤هـ ./١٥٢٧م. وجمع من كل هذه الرحلات العلمية معارف هامة مع حضوره لدروس العدد الكبير من علماء مكة والواردين عليها أو المقيمين بها مما مكنه من زادٍ كبير في العلوم، ومكانة محترمة في المجتمع - وهو ما تدل عليه مؤلفاته - وظل يكتب ويؤلف إلى أن توفي بمكة في ١٥ جمادى الثانية سنة ٩٥٤ هـ ./ ٢ أغسطس ١٥٤٧م[٢].

مصادر ترجمته:

لجار الله بن فهد ترجمات كثيرة من معاصريه وممن جاء بعدهم:

فمن معاصريه: السخاوي في الضوء اللامع ٥٢/٢، ووالده العز بن فهد الذي ذكره مرات كثيرة في كتابه بلوغ القرى، وصديقه ابن طولون الشامي الذي تحدث عنه في كتابه مفاكهة الخلان مرات في الجزء الثاني من ص ٦ إلى ص٦٣.

---

(١) الكتاني: فهرس الفهارس والأثبات ٧٣٤ .

(٢) محمد الحبيب الهيلة: المرجع السابق، ص١٩٥-٢١٣.

أما من جاء بعد عصر المؤلف فقد ترجمه: العيدروس في النور السافر ١٣١/٢! وابن العماد في شذرات الذهب ٣٠١/٨، ومرداد في المختصر من نشر النور والزهر ص١٥٢-١٥٣.

أما من المعاصرين فقد ترجمه الزركلي في الأعلام ٢٠٩/٦، وكحالة في معجم المؤلفين ١٧٥/١٠-١٧٦، كما كتب عنه د. ناصر الرشيد في مجلة العرب سنة ١٣٩٧هـ . عدد ١١-١٢، ود. محمد الحبيب الهيلة في كتابه التاريخ والمؤرخون بمكة ص١٩٥-[١]٢١٣.

مؤلفات جار الله بن فهد التاريخية:

تنوعت الاختصاصات التاريخية التي ألف فيها جار الله بن فهد فأمكننا أن ننوّعها كما يلي:

كتُبٌ متعلقة بتاريخ مكة وهي:

- بهجة الزمان، بعمارة الحرمين لملوك آل عثمان.
- التحفة اللطيفة، في أنباء المسجد الحرام والكعبة الشريفة.
- غاية الأماني والمسرات، لعلو سلطان الحجاز أبي زهير بركات.
- نيل المنى، بذيل بلوغ القرى، لتكملة إتحاف الورى.

كتُبٌ متعلقة بذكر أماكن ومواقع في مكة وحولها:

- الاتعاظ، بما ورد في سوق عكاظ.
- تاريخ مدينة جدة وأحوالها وقربها من مكة.
- تحفة اللطائف، في فضائل الحبر ابن عباس ووجّ والطائف.
- تحفة الناس، بخبر رباط سيدنا العباس.
- حسن القرى، في أودية أم القرى، ويُسمّى منبع الخير والبركة، في أودية أم القرى مكة.

---

(١) كنتُ عرّفتُ بالمؤلف جار الله بن فهد بكل إيجاز وعرضتُ أهم مصادر ترجمته في مقدّمة تحقيقي لكتاب النكت الظراف فاكتفيت بنقلها هنا لإيجازها وإيفائها بالغرض.

- القول المبرور، في فضائل عرفة.

كتبٌ تاريخية عامة:

- بلوغ الأرب، في تملّك السلطان سليم خان لأرض العجم والعرب.
- الجواهر الحسان، في مناقب السلطان سليمان بن عثمان.
- منهل الظرافة، بذيل مورد اللطافة، في من ولي السلطنة والخلافة.
- النكت الظراف، في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف.

كتُبٌ متعلقة بالتراجم:

- الأقوال المتّبعة، في بعض ما قيل في مناقب الأيمة الأربعة.
- بلوغ الأرب، بمعرفة الأنبياء من العرب.
- تاريخ يُفيد في معرفة المترجَمين في الضوء اللامع.
- تحفة الإيقاظ، بتتمة ذيل طبقات الحفّاظ، لكتاب طبقات الحفّاظ للذهبي.
- تحقيق الصفاء، في تراجم بني الوفاء.
- تخريج مشيخة عبد الحق السنباطي.
- تخريج مشيخة محب الدين النويري.
- ثبت جار الله بن فهد.
- رسالة في كتّاب السر في ديوان مصر.
- فهرسة جار الله بن فهد.
- القول المؤتلف، في نسبة الخمسة البيوت إلى الشرف (بيوتات مكة).
- معجم شيوخ جار الله بن فهد

كتُبٌ متعلقة بأسانيد الحديث ورجاله:

- البلدانيات، ويسمّى بالفرائد البهيات، في فوائد البلدانيات (والبلدانيات هي كتبٌ تجمع الأحاديث المرتبة على ترتيب المحدثين من مختلف البلدان).

- تحفة الكرام، بمرويات حجاج بيت الله الحرام.
- تحقيق الرجاء، لعلو المقرّ المحبّي ابن آجا.
- مورد الطالب الظمي، لمرويات الحافظ برهان الدين سبط ابن العجمي.

كتب في رحلاته.

- رحلة إلى حلب.
- الرحلة الدمشقية.

كتُبٌ متعلقة بالأدب وتاريخه:

- بلوغ الأرب، في حكم تيجان العرب (وهي العمامة).
- معجم الشعراء الذين سمع منهم الشعر[1].

(١) للمزيد من معرفة مؤلفات جار الله بن فهد انظر كتاب محمد الحبيب الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ١٩٥-٢١٣.

التعريف بكتاب النكت الظراف

عنوان الكتاب الذي ندرسه:

هو كتاب النكت الظراف، في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف.

إثبات نسبة الكتاب إلى جار الله بن فهد:

عندما وقع مخطوط الكتاب بين يديّ وقبل أن أبدأ في تحقيقه حاولتُ أن أعثر على ذكرٍ له في مصدر من المصادر التاريخية المكية أو غيرها من الكتب المُعرِّفة بالمؤلفات ككتاب كشف الظنون لحاجي خليفة وملحقاته لإسماعيل البغدادي وغير ذلك كثير مما أمكنني الاطّلاع عليه من الفهارس الجامعة لعناوين المخطوطات والمطبوعات، فلم أجد للكتاب ذكرًا في كل ما أمكنني الاطلاع عليه.

إلاّ أن الكتاب الذي بين يديّ وهو كتاب النُّكَت الظِّراف لا يُشكّ في نسبته لصاحبه وهو جار الله بن فهد بسبب العوامل التالية:

- ورود ذلك في ورقة عنوان المخطوط حسبما كُتب عليها «كتاب النكت الظراف، في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف»، تأليف الفقير الحقير، المعترف بالتقصير، الراجي عفو ربّه القدير، خادم حديث نبيّه المصطفى البشير، المسَمَّى باسمه الأمجد، محمد المدعو جار الله بن عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي العلوي المكي، لطف الله به.
- وردت نسبة الكتاب إلى مؤلفه مرات متكررات داخل النص.
- أن في صفحة العنوان يقول: تأليف الفقير الحقير، ولا يقول مثل هذه العبارات غير صاحب الخط والكتابة.
- أن هذه المخطوطة كُتبتْ بخط المؤلف الذي يتّصف بعدم الجمال وبالغموض. فيثبتُ عند الباحث أنه من خطه بسبب ما ذكره بنفسه وبسبب المقارنة بينه وبين

ما كتَبَه في مخطوطات أخرى كثيرة. فقد عُرِفَتْ من خط جار الله بن فهد كتبٌ وأمثلة كثيرة منها: ما وُجد على مخطوطة معجم شيوخ النجم بن فهد جده وهي نسخة محفوظة بمكتبة بنكيبور بالهند رقم ٧٣٧ حيث نقل مجموعة استدعاءات لرواية الحديث. كما أنه يوجد خطه على نسخة من كتابه حسن القرى، في أودية أم القرى، محفوظة في مكتبة الأحقاف باليمن رقم ٩٨ مجاميع. مع أمثلة أخرى من خطه.

كل هذه العوامل تجعلنا لا نشكّ في نسبة الكتاب إلى مؤلفه جار الله رغم عدم عثورنا على نص يذكر الكتاب وينسبه إليه أو إلى غيره سواء في عصر المؤلف أو بعده.

المخطوط:

رغم ما بذلناه من جهد في البحث عن نُسخ الكتاب فإننا لم نعثر إلاّ على نسخة واحدة كُتبت بخط المؤلف وحُفظت في مكتبة سشتربيتي بإنجلترا ضمن مجموع تحت رقم ٣٨٣٨.

يقع المخطوط في ٥٩ ورقة، عدد أسطر ما بين ١٨ و ٢٠ سطراً أصيب بنقص ما بين ورقة - ٢٠ب و ٢١أ - ونقص آخر في ما بين ورقة - ٢٦ب و ٢٧ أ - مع بياض في الورقة ٥٣ب حيث لم يُكتب فيها سوى سطرين، يبدو أن المؤلف تركها بيضاء لإكمالها بأحاديث مناسبة وذلك قبل الخاتمة، مع بياض جزيء ومتقطع في الورقة ١٠ أ - ب بسبب ترميمها الرديء.

وقد وضع المؤلف إضافات في حواشي النص وذلك في الورقة ١٨ ب، وفي الورقة ٢٣ ب و ٢٤ أ (وهي إضافات بغير خطه إلا أن نصها يدل على أنها من تأليفه) وإضافات أخرى بعضها من خطه وأغلبها من خط غيره إلا أنها مقطوعة أوائل السطور مما جعلنا لا نقدر على تحقيقها ضمن النص[1].

---

(١) اكتفيت في وصف مخطوطة الكتاب هنا بـ ما كنتُ أوردته في مقدمة تحقيقي له، فإن ذلك يوفي بالغرض.

محتوى الكتاب:

يقول المؤلّف متحدثًا عن محتوى كتابه وترتيبه:

ولذلك رتَّبتُ مؤلَّفي هذا على مقدمة وبابيْن وخاتمة. وجعلتُ في آخر كلّ منها تتمّة، هي للقصد مهمّة.

فالمقدمة في الأحاديث والأخبار الواردة في ذوي العاهات مع نظم الأشعار.

والباب الأول في ذكر ذوي العاهات مجملاً، وبيان الأشراف منهم مفصلاً.

والباب الثاني في الحادث لهم من المرض كالعمى والعَوَر والصَّلْع والقرح وغير ذلك من المرض.

والخاتمة في الوارد للإنسان من المصاب، وما يحصل له من الأجر والثواب(١).

موضوعه:

هو كتاب جمع فيه المؤلف أخبارَ مَن أُصيب بعاهة جسدية واشتهر بها.

أراد منه المؤلف أن يجمع أخبار المشهورين ممن أصيب بعاهة من العاهات سواء من أهل الدين أو أهل السياسة أو أهل العلم، خاصة ممن اشتهروا في ميادينهم ومجالاتهم. وكان قصد المؤلف كما يقول في المقدمة وضمن نصوص الكتاب أن يجعل من ذكرهم موعظة وتسلية لمن أصيب بمثلها حتى يقوّي صبره على تحمُّلِ بليَّتِه. فذكر منهم بعض الأنبياء، وبعض الصحابة، والكثير من أهل السلطة بالغاً إلى ذكر العديد من العلماء المشهورين سواء ممن تقدم عصره أو تأخر فكان معاصراً له.

وهكذا نجد الكتاب قد احتوى على مجموعة هامة من الأخبار التاريخية تُكمل جوانب من تراجم المذكورين فيه. إلاّ أن المؤلف جار الله بن فهد اشتهر بعلم الحديث كما اشتهر بالمؤلفات التاريخية الكثيرة، لذلك نجده في كتابه هذا يجمع بين نصوص الاختصاصيْن، وأنه في سبيل غايته التربوية كان لابد له من أن يلجأ إلى نصوص الحديث النبوي التي تتناول موضوع الصبر، ومواجهة البلاء، والتغلب عليه بالإحساس الديني وبما وعد

---

(١) جار الله بن فهد: النكت الظراف ٣ أ.

الله الصابرين، وبما أكّد رسول الله ﷺ من أحاديث أوردها متعددة مما اشتملتْ عليه كُتب السنن وكتب السيرة النبوية الشريفة.

إلا أن ظهور هذا الكتاب أثار نقداً وضجّة بين بعض علماء مكة المكرمة في عصره فانتُقد واتُّهِمَ صاحبهُ بالغيبة، وبلغ الأمر بالمعارضين إلى أن بلّوا الكتاب بالماء لتذهب معالمه، وأرادوا تمزيقه. وفي ظروف غير واضحة وقع إتلاف النسخة الأولى من الكتاب، وقع ذلك في سنة ٩٤٨هـ ./١٥٤١م. إلا أن المؤلف أعاد كتابته في نُسَخ متعددة فكانت نسخته الأخيرة هي التي بين أيدينا قد صدرت في سنة ٩٥٠هـ ./١٥٤٣م وفيها ذكر بعض ما وقع لهذا التأليف من معارضة وموافقة سواء من علماء مكيين أومصريين أو شاميين.

كل ذلك دلتْ عليه بتفصيل نسخة الكتاب التي بين أيدينا، والتي هي بخط المؤلف المعروف لدى الباحثين.

وقد اشتمل الكتاب على الكثير من النقول ع ن المؤرخين القدماء سواء من كتب السيرة، أو كتب التراجم، أو كتب التربية الدينية والموعظة والإرشاد، بالإضافة إلى ما أورده من أخبار معاصريه.

وقسّم كتابه إلى مقدمة وبابين وخاتمة.

اشتملت المقدمة على: الأحاديث والأخبار الواردة في ذوي العاهات، واشتمل الباب الأول: على ذكر ذوي العاهات مجملاً وبيان الأشراف منهم مفصلاً. واحتوى الباب الثاني: على أخبار ما حدث لهم من العاهات كالعمى والعور والصلع والعرج، وغير ذلك. أما الخاتمة: فقد أورد فيها النصوص المتعلقة بما يحصل للإنسان من أجر وثواب مقابل مُصابه وعاهته[١]. فجاء أسلوب وموضوع الخاتمة يختلفان عن موضوع الكتاب. فقد خصّصها للتذكير والنصيحة مع رواية الأخبار والأشعار التي تخدم الغرض. وقد اعتمد فيها اعتمادًا يكاد يكون كليًا على على كتاب الخوارزمي مفيد العلوم ومبيد الهموم فنقل منه أغلب هذه الخاتمة مع تصرّف كبير منه بالزيادة والنقص والتغيير. كما يحدث للمؤلف أحيانا أن ينقل نصوصًا ويورد أخبارًا لا علاقة لها بموضوع كتابه ولا هي مناسبة للفقرة أو الفصل أو غير ذلك.

---

(١) مقدمة تحقيق النكت الظراف ص ٥.

ففي الورقة ٣ ب يورد نصًا فيه ذكر خصائص اسم النبي صلى الله عليه سلم دون أن يكون له مناسبة بحال.

وفي الورقة ٣٤ ب يورد قصة الأسود العنسي وهي في غير محلّها لانعدام المناسبة.

وفي الورقة ٣٩ أ يورد خبر خطبة زهير بن كعب ضمن قائمة البُرْص دون أن تكون لذلك مناسبة.

سبب تأليف الكتاب والغاية منه:

يذكر لنا المؤلف في مقدمة كتابه النكت الظراف سبب تأليفه للكتاب فيقول: سببه أنني اجتمعت ببعض الأعيان، وأحد فضلاء الزمان، وذكرنا الماضيين من العميان والعوران والقرحان والصلعان، ممن حصل له ذلك من الأعيان، فتشوّقتْ نفسي لجمعه خصوصاً ورأيت بعض علماء الحنفية ذكره في وضعه[١].

وبما أن الكتاب أثار خلافًا بين المؤلف وبعض العناصر المثقفة في مكة فاتّهِم بالغيبة وغيرها من سوء القصد فإنه كثيرًا ما كان في كتابه يتنصّل من هذه التهمة ويجيب عن ذلك بمحاولة إثبات عكس ما اتُّهِم به. فيلتجئُ في كثير من الأحيان إلى القسَم المؤكّد بأنه لم يقصد الإساءة لأحد فيقول مثلاً: والله العظيم قصدت بتأليفه الإيقاظ، وتسلية مَن ابتلي به والاتّعاظ، لمن حصل له الابتلاء من الأكابر، في الزمن الغابر[٢].

ويبيّن غايته من تأليفه فيقول: قصدتُ بتأليفه الموعظة الصحيحة، والتسلية الصريحة، ليتّعظ به المتّعظون، ويتسلّى بما فيه الطالبون[٣].

تأليف الكتاب ومراحله:

لم يكن تأليف كتاب النكت الظراف تأليفا عاديًا صدر عن مؤلفه وانتشر بين الناس بصفة طبيعية كعادة الغالبية العظمى من المؤلفات. فقد لقي المؤلف بسبب كتابه هذا

---

(١) جار الله بن فهد: النكت الظراف ٢ أ.
(٢) نفس المصدر ٢ أ.
(٣) نفس المصدر ٥٩ أ.

معارضة ونقاشًا واتّهامًا من طرف بعض مثقفي عصره وبلده مكة المكرمة. إذ اعتبروا أن محتوى الكتاب هو غِيبةٌ ومسّ بأعراض أشراف الناس. ثم عملوا على إزالة الكتاب ومحو نسخته بالماء بل وبتمزيقه. وتوالت بعد ذلك الحوارات حوله الاتهامات والأقوال من المناهضين ثم الأجوبة والدفاع من المؤلف وممن وقفوا معه في محنته. فكان في ذلك أخذ وردّ ونقاش واتّهام وأجوبة مما يتبيّن للقارئ أمره في ما يرد ويأتي من هذا البحث. ولذلك مرّ الكتاب في تأليفه وصدوره ووصوله للقراء بمراحل أبرزها ما يلي:

- أُلِّف الكتاب أولاً فظهر منه الإصدار الأول.
- ظهور مناهضات واتهامات ضدّه.
- وقوع محو الكتاب بالماء وتمزيقه من المعارضين.
- ردّ المؤلف على آراء المناهضين وذلك بتأليف كتابه الذي عنوانه: النصرة والإسعاف، على المنتقدين لمؤلّفي النكت الظراف.
- أعاد جار الله بن فهد تأليف كتابه وأخرج النسخة الأولى من الإصدار الثاني سنة ٩٤٨ هـ . ثم كتب نُسخًا أخرى كثيرة منه.
- أخرج النسخة الأخيرة من الإصدار الثاني سنة ٩٥٠ هـ ..

وهذه المراحل لم نعرفها ولم نعرف تفاصيلها إلاّ من خلال نصوص هذا الكتاب وما ذكره مؤلفه فيه عن محنته بالمعارضة التي واجهتْ تأليفه لكتابه هذا.

الإصدار الأول من الكتاب:

على الرغم من أنه ليس بين أيدينا نص يحدّد تاريخ التأليف فإنه يبدو أن جار الله بن فهد ألّف كتابه النكت الظراف بعد سنة ٩٤٤ هـ . وقبل سنة ٩٤٨هـ .. السبب في ذلك أن المؤلف لم يذكره في كتابه نيل المنى، بذيل بلوغ القرى، لتكملة إتحاف الورى. إذ لو كان ألّف النكت الظراف قبل إنهاء كتابه نيل المنى لكان ذكره فيه. فإن جار الله التزم أن يذكر كل التفاصيل عن حياته ومؤلفاته ومشاركاته في الحركة العلمية والثقافية بصفة دقيقة خاصة وأنه تناول فيه الأخبار بترتيب الحوليات مواليا عرضها على ترتيب الشهور والأيام. والمطالع لكتاب نيل المنى يدرك مدى التزامه بذلك. وهذا ما يجعلني

أعتقد أن كتاب النكت الظراف لم يُؤلَّف إلاّ بعد إنهاء نيل المنى أي بعد سنة ٩٤٤هـ .. أما التاريخ الثاني وهو سنة ٩٤٨هـ . الذي قلتُ إن الكتاب أُلّف قبله فإنه عُرف بما ذكره المؤلف في نهاية النسخة التي بين أيدينا عند حديثه عن الإصدار الثاني للكتاب الذي عيّن تاريخه بشهر شعبان سنة ٩٤٨هـ ..

ردود فعل المؤلف عند ظهور الإنكار والمعارضات والاتهامات:

من خلال ما بين أيدينا من نصوص الكتاب لاحظتُ أن ردود فعل المؤلف على المنكرين تنوّعت وتعدّدتْ. فهو تارة يصفهم بسوء القصد والغرض والحسد والجهل، كما يعرض اتهاماتهم له فيفنّدها بأقواله وحججه ثم يلتجئ إلى الدعاء عليهم أو إلى القسم بالأيمان المغلّظة أنه لم يقصد الإساءة للناس قديمهم وحديثهم وأنه ليس في تأليفه قصد الغِيبة وأنه يسلّي نفسه وأهل العاهات بأخبار المصابين قبلهم وأنه يذكّرهم ويذكّر نفسه بما يجب عليهم من الصبر والتحمّل بواسطة إيراد الأحاديث والقصص والأشعار. ويبلغ الأمر بالمؤلف إلى أن يضع كتابًا يردّ به عليهم وجعل عنوانه «النصرة والإسعاف، على المنتقدين لمؤلَّفي النكت الظراف» بيّن فيه حدود الغِيبة وتعريفها قال عن ذلك: وقد لخَّصتها بطريـ ـق الإنصاف، في مؤلفي النصرة والإسعاف، على المنتقدين لمؤلَّفي النكت الظراف، فليراجعها طالبها في أصلها، مع ذكر الموعظة فيها وما يحرم من فعلها، وذكْر النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم لبعضها[1]. وصرّح أيضا بأنه ألفه سنة [٩٤٩هـ . / ١٥٤٢م][2].

ويبدو أن المؤلف لم يكْتفِ بالجواب بهذا الكتاب بل عاد إلى مؤلَّفه النكت الظراف فألّفه من جديد وكتب الإصدار الثاني له الذي يحتوي على إضافات هامة على ما كان كتب في الإصدار الأول وذكر ذلك فقال: وقد زدتُ فيه زيادات كثيرة تأتي مقدار أصله. وكتب النسخة الأولى منه في شهر شعبان سنة ٩٤٨ هـ . بمكة المشرفة[3].

وتأتي المرحلة الأخيرة وذلك بكتابته للنسخة الأخيرة من الإصدار الثاني في سنة ٩٥٠هـ . في أحد أودية مكة المعروف بوادي البرابر وهو ما يُوضّحه النص الذي ختم

(١) نفس المصدر ١٠ أ – ب.

(٢) نفس المصدر ١٣ ب.

(٣) نفس المصدر ٥٩ أ.

به المؤلف النسخة المخطوطة الوحيدة التي سبق لي تحقيقها وهي التي اعتمدتها في هذه الدراسة. فإن المؤلف يقول في ذلك: وكتبتُ أصل هذه النسخة بعد غسل الأُولى من المنغّصين، الحُسَّد في الدين، في العشر الأخير من شهر تأليفه وهو شعبان عام ثمـ ـان وأربعين وتسعمائة [٩٤٨هـ ./ نوفمبر - ديسمبر ١٥٤١م] بمكة المشرفة. ثم كتابة هذه النسخة بعد نسخ متعدّدة وذلك في سلخ جماد الأول عام خمسين وتسعمائة [٩٥٠هـ ./ ٣١ أغسطس ١٥٤٣م] بوادي البرابر، أحد أودية وادي مرّ من أعمال مكة المشرفة. شرفها الله تعالى[١].

المؤلف يصف المنكرين ويذكر اعتراضاتهم:

تعددت النصوص التي وردت في الكتاب فوصف فيها المؤلف مناهضيه ومنتقديه والمنكرين لتأليف الكتاب مع ذكر اعتراضاتهم عليه. وأرى من الأجدر عرضها بنصوصها لتتّضح للقارئ ظروف هذه القضية فقال:

- فلا يَظنّ بذلك الظانون، ما يعتقده الجاهلون، من ذوي العقول السخاف، بأنه ثلب للأشراف، وذلك منهم غِيبة وإلباس، ووقيعة من أكابر الناس[٢].

وأما ما ارتكبه المنكرون عليّ من البهتان، والإفك والعدوان، وقصدوا به الأذى والنقيصة، فليس لهم من عقاب الله محيصة، فإنهم استباحوا مني ومن أقاربي الأعراض، ونسبوا إليّ جملة من النقيصة والأمراض، التي عافانا الله منها وبرأنا من قائلها وصارت لنا حسنات ولهم سيئات يُطالَبون بها يوم الحساب، كما ورد في الحديث الشريف بالقول الصواب[٣].

- واتفق لي بعد الإنكار عليّ مِن بعض من ذكرته في الصلعان، وهم في الحقيقة قرعان من أهل البلاد وفُجّار العصر، أنني تركتهم إهمالاً لهم لكونهم ليس بهم فخر، خصوصاً وقد لحقتهم حمية الجاهلية بأخذ الثأر في النكير[٤].

---

(١) نفس المصدر ٥٩ أ.
(٢) نفس المصدر ٢ أ.
(٣) نفس المصدر ١٤ ب - ١٥ أ.
(٤) نفس المصدر ١٥ أ.

- فحينئذ دلني ذلك على كثرة الجهل والبهتان، ونقصان أهل الزمان، وعُدم كثير من العلماء يرجعون إليه ويعولون في أمورهم عليه[١].
- وقد توسلّتُ بالنبي المختار، وما رويتُه عنه من الأحاديث والآثار. وكذا عن الصحابة السادة الأخيار، أن يكفيني شر الجهلة الفُجَّار، لما نسبوا إليّ في هذا التأليف من البهتان والإفك والعار، وقصدوا به أخذ الثار، أذاقهم الله حرَّ النار، وخذلهم ونصرني عليهم طول الأعصار، وعافاني من البلاء والمحن في كل وقت وزمن إنه بالآمال كفيل، وهو حسبي ونعم الوكيل[٢].
- فلذلك وصفتُ به نفسي مع جماعة من أكابر بلدي في الصلعان وهم في الحقيقة قرعان فأقاموا عليّ النكير لأجلها وكوني ذكرتهم فيها، وتركتهم حينئذ من الكلام، بما لم يفدهم غير الملام[٣].
- ويصفهم في نهاية الكتاب فيقول: وهذا آخر ما ذكرته، وفي هذا التأليف أثبتُّه. وقد زدتُ فيه زيادات كثيرة تأتي مقدار أصله، رغماً للمعاند المطالب بتمزيقه وغسله، من الجهلة الأطراف، ذوي العقول السّخاف[٤].
- ثم يقول: وأسأل من الله القبول، ويبلغني به نهاية القصد والسُول، ويكفيني شر الأعداء والحاسدين، بجاه سيد المرسلين، ﷺ، وشرّف وكرم، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وهو بالآمال كفيل[٥].

يضاف إلى ذلك دعاء عليهم لكفّ شرهم ودعاء لنفسه لحمايته منهم فيقول: فأستعين عليهم بالله وأَعتصم بحبل الله، وأقول حسبي الله وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وعليه أنيب، وأوكلّ أمري إلى الله القريب المجيب[٦].

كما يحدثنا جار الله عما وقع للإصدار الأول من الكتاب. ويبدو أن المنكرين عليه تأليف كتابه هذا قاموا بعملَيْن ماديين قصدوا بهما منع الكتاب من الوصول للقراء

---

(١) نفس المصدر ١٥ ب.
(٢) نفس المصدر ٣٨ أ.
(٣) نفس المصدر ٤٢ أ.
(٤) نفس المصدر ٥٩ أ.
(٥) نفس المصدر ٥٩ أ.
(٦) نفس المصدر ١٥ ب.

من مثقفين وعامة. فروى المؤلف أنهم بَلُّوا الكتاب بالماء لمحو كتابته والتعمية على قُرّائه، كما ذكر أنهم مزّقوه. ولكنه في نفس الوقت لم يوضّح كيف وصلوا إلى النسخة ولا كيف حاولوا إتلافها بالمسح والتمزيق، وفي أيّ ظرف مكاني أو زماني وقع ذلك؟ فقال تارة: وقد لحقتْهم حمية الجاهلية بأخذ الثأر في النكير، وما سكن عنهم الزفير، وأُطْفئ السعير، إلا ببلّ نسخة من هذا التأليف بالماء، وعند الله يجتمع الخصماء[١].

وأشار إلى ذلك في نهاية الكتاب بقوله: رغماً للمعاند المطالب بتمزيقه وغسله، من الجهلة الأطراف، ذوي العقول السّخاف[٢].

وعلى الرغم من كثرة وتعدّد شكوى المؤلف جار الله بن فهد من معارضيه والمنكرين عليه تأليفه كتابه النكت الظراف، وعلى الرغم من وصفه لهم بالأوصاف الأخلاقية والعلمية الذميمة، فإنه يذكرهم دائما بصيغة الجمع ولم يذكر لنا اسم واحد منهم ولا حتى نسبته أو ما يدلّ عليه. فالذين سمّاهم بالمنكرين والمعارضين لا يزالون مجهولين عند قارئ الكتاب ولم نعرف من أسمائهم غير إشارة من المؤلف لأحد كبار فقهاء ومحدّثي مكة الشيخ ابن حجر الهيتمي المكي[٣] وهي إشارة منه جاءت في نص لا يخلو من بعض غموض.

فإن المؤلف ضِمْن الباب الثاني من كتابه ذكَرَ ثمانية من الحول في تاريخ الإسلام وهم: عامر بن عبد الواحد الأحول، وعاصم الأحول، وأبان بن عثمان بن عفّان، وزياد بن أبيه، وأبو بردة الأشعري، والخليفة هشام بن عبد الملك وسلمة بن دينار المدني ثم أضاف إليهم ابن حجر المكي في نص قال فيه:

وهؤلاء سبعة[٤]من الفحول لهم في زماننا ثامنٌ من الحول، وهو أحد المدرسين، بحرم الله الأمين، شهاب الدين أحمد بن جمال الدين الهيتمي القاهري الملقب بابن حجر،

(١) نفس المصدر ١٥ ب .

(٢) نفس المصدر ٥٩ أ .

(٣) ابن حجر الهيتمي مصري دخل مكة للدراسة مرات منذ سنة ٩٣٣هـ ./١٥٢٦م. ثم استقر بها بداية من سنة ٩٤٠هـ ./١٥٣٣م وأقام بها وانتسب إليها إلى وفاته سنة ٩٧٤هـ ./١٥٦٦م. وقد قدّمتُ رسالة دكتوراه إلى جامعة أم القرى سنة ١٤١٨هـ ./١٩٩٨م بعنوان: ابن حجر الهيتمي المكي وجهوده في الكتابة التاريخية. ثم طبعت القاهرة، نشر مكتبة ومطبعة الغد. (الباحثة).

(٤) يذكر المؤلف في كتابه أنّ عدد الحُولِ الذين ذكرهم قبلُ سبعة في حين أنّ عددهم ثمانية لا سبعة.

مُشْبِهاً لمن مضى في الأثر، وفرقٌ بين الرجلين في الحفظ والقضاء وصحة العين، وكنت أولاً ما ذكرته في ذوي العاهات، حتى بارزني بكتابته على الفتوى والخصومات، التي أراد بها الظهور، وهو قصَّام الظهور، فذكرتُه ليعلم خصوصيته. ورحم الله صاحب الحكم، حيث قال في أحوال الأمم: الخمول نعمة وكلٌّ يأباه، والظهور نقمة وكل يتمناه، ولله در بعضهم [٥٠-ب] حيث قال في المعنى.

لـ . ذَّ خمولـ ـي وحَـ ـلاَ مُرُّه   إذ صانني عـ ـن كل مخلوقِ

نفسـ ـيَ معشوقي ولي عبرة   تمنعني عن بذل معشـ ـوقي

فالذي يُفهم من هذا النص أنّ العلاقة بين الرجلين لم تكن على أحسن الأحوال. فإنه يذكر أنّ تسميته بابن حجر لا تجعله مثل ابن حجر العسقلاني حيث يتحدّث عنه فيقول: أحد المدرّسين بحرم الله الأمين، وذكر اسمه فجعله قاهريا وليس مكيا. وأما المشابهة بين ابنيْ حجر العسقلاني والهيتمي فإنه أبرز الفارق بين الرجلين في الحفظ والقضاء وأن الهيتمي أحول والعسقلاني صحيح العين ليس به حوَلٌ.

أما العنصر الثاني من الفقرة السابقة فإنه يشير إلى أن ابن حجر الهيتمي بارَزَ جار الله بن فهد بكتابته على الفتوى والخصومات ولم يوضّح هل هي فتوى متعلقة بالكتاب؟ وهل الخصومات متعلقة بالكتاب أو بأمرٍ آخر؟

ويأتي بعد ذلك العنصر الثالث الذي يوجّه فيه جار الله التهمة إلى ابن حجر بأنه يريد بموقفه الظهور والبروز مقدمًا له الدرس والنصيحة بعدم الميل للظهور الذي هو قاصمٌ للظهور.

الطرق التي سلكها المؤلف في الردّ على المنكرين:

إنّ ما أثير حول الكتاب من المعارضة والنكير جعل المؤلف يلجأ إلى أساليب متنوعة من الردّ والتبرّؤ مما أُلحِقَ به من التهم.

فهو تارة يصرّح ويكرّر القول بأنه لم يقصد بعمله هذا الغِيبة ولا ذكْر عيوب الناس وتتبعها للإساءة والتنقيص منهم، وإنما كان قصده تسليتهم على ما أصابهم بتذكيرهم ووعظهم بما أصاب غيرهم من أكابر القوم في الدين والعلم والاشتهار. مؤكدا أنه لم

يقصد النقيصة بهم. فبيّن أولاً أحكام الغيبة ناقلاً عن أحد كبار شيوخ معاصريه فقال: ثم قصدتُ بعده لبيان جواز الغيبة في الأحـ ـوال ستة خصال قالها الفقهاء والعلماء النبهاء، ونقلتُها من خط شيخ الإسلام، مفتي الأنام كمال الدين محمد بن أبي شريف القدسي الشافعي[1] - رحمه الله تعالى - وصورتها: ومن نظم كاتبه بيتان نظم فيهما المواضع الستة التي لا يكـ ـون القدح فيها غِيبة كما ذكره الإمام النووي في الأذكار، وفي أوائل النكاح من الروضة، وهي: التظلم لمن له قدرة على الإنصاف كظلمني فلان بكذا، والاستعانة على تغيير المنكر كفلان مرتكب كذا، والاستفتاء كما طريقي في الخلاص من فلان فقد فعل كذا؟، وتحذير المسلمين كنصح المستشار في خاطب أو شريك أو برأيٍ مَعيبٍ ونحو ذلك، وذكر المجاهر بالفسق بما تجاهر به من فسقه، وتعريف مشهور بلقب كالأعمش سليمان بن مهران، والأعرج عبد الرحمن بن هرمز. والبيتان هما.

القـ ـدح ليس بغِيبة في سـ ـتّـ ـة	متظلّ . ـم و معـ . ـرّف ومحذّر
ومجاهـ ـر بالفسـ ـق ثُمّت سائل	ومَن اسـ ـتعان على إزالة منكَر

فعلم من هذه الخصال الستة بأن ذكري لذوي العاهات المذكورين ليس بغِيبة، لأني لم أقصد لهم النقيصة، وإنما أردت تعريفهم والتسلّي بهم والموعظة الخصيصة. كيف وقد ذكرتُ نفسي في الصُّلع وجَدّي لأمي في العُرْج وجماعة من مشائخي الأجلاء في العُمْي وغيرهم من العلماء والصحابة الأتقياء الذين هم كالنجوم، وكل من اقتدى بهم اهتدى للعلوم، رضي الله عنهم ونفعنا بهم[2].

وينفي جار الله عن نفسه ما ألحقه به المنكرون من تُهم الغيبة والإساءة للناس فيذكر سبب التأليف والغاية منه قائلاً: سببه[3] أنني اجتمعت ببعض الأعيان، وأحد فضلاء الزمان، وذكرنا الماضيين من العميان والعوران والقرحان والصلعان، ممن حصل له ذلك من الأعيان، فتشوّقتْ نفسي لجمعه خصوصاً ورأيت بعض علماء الحنفية ذكره في

---

(١) ابن أبي شريف توفي (٩٠٦هـ /١٥٠٠م) كانت له علاقات علمية كبيرة بمكة، وأقام فيها كثيراً. انظر ترجمته في كتاب التاريخ والمؤرخون بمكة لمحمد الحبيب الهيلة ص١٦٧.

(٢) جار الله بن فهد: النكت الظراف ١٢ ب - ١٣ أ.

(٣) في حاشية الورقة ٢ أ من الجهة اليسرى هامش بخط المؤلف نصه: قصدت ببعض الأعيان خطيب المسجد الحرام الإمام ... أبي اليمن الطبري وأحد فضلاء الزمان المحبي محمد شيخنا أبو .... المكي الشافعيان أدام الله النفع بهما في كل زمان.

وضعه. فلا يَظن بذلك الظانون، ما يعتقده الجاهلون، من ذوي العقول السخاف، بأنه ثلب للأشراف، وذلك منهم غِيبة وإلباس، ووقيعة من أكابر الناس، بل والله العظيم قصدت بتأليفه الإيقاظ، وتسلية من ابتلي به والاتّعاظ، لمن حصل له الابتلاء من الأكابر، في الزمن الغابر. واقتديتُ في فعل ذلك بمن سبقني من العلماء لهذا الطريق السالك(١).

المناصرون للكتاب وللمؤلف:

تكرر من المؤلف عند ذكره المنكرين وأوصافهم الذميمة أن يذكر أولئك الذين لم يكونوا من المنكرين واعتبرهم من ذوي الإنصاف وأنهم من العلماء الظراف الذين ينظرون إلى الكتاب بعين اللطف والإسعاف(٢). وفي هذا وفي غيره من النصوص ما يدل على أنه لم يكن كل المجتمع المكي المثقف ضد ظهور الكتاب وانتشاره.

ويبدو أن بعض المناصرين للمؤلف مقتنعون بأن الأعداء المنكرين أرادوا اتهامه ظلما وعدوانًا ووقف بعض المناصرين بجانب جار الله فوضع أحدهم شعرًا يتضمّن حديثًا نبويًا يناسب الوضع. فقد ذكر المؤلف ما نصه:

وقد نظم بعض الأحباب، والأدباء الأنجاب، قوله ﷺ «من قفّى أخاه بشيء يسيئه يُريدَ سبته به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال» وهو:

من كان قفّى بشـيء مسـلماً عبثاً   بـه يريد لـه التنقيص في البشـر

يوم المعاد على جسـر السـعير له   حبس وناهيك ذاك الخوف من كدر

حتّـاه يخـرج ممـا قـال فيه ولا   خروج بالإفك والبهتان من صَقر(٣)

وبعد أن وقع محو الكتاب بعشرين يوم نزل سيل إلى الحرم المكي فاعتبره المؤلف وجماعته إرهاصًا يدل على الظلم الذي سُلّط عليهم - حسب تصورهم - فروى المؤلف القصة قائلاً:

واتفق لي بعد الإنكار عليّ مِن بعض من ذكرته في الصلعان، وهم في الحقيقة قرعان من أهل البلاد وفُجّار العصر، أنني تركتهم إهمالاً لهم لكونهم ليس بهم فخر، خصوصاً

---

(١) جار الله بن فهد: النكت الظراف ٢ أ - ٣ ب.

(٢) نفس المصدر ٥٩ أ.

(٣) نفس المصدر ١٥ أ.

وفد لحقتهم حمية الجاهلية بأخذ الثأر في النكير، وما سكن عنهم الزفير، وأُطْفئ السعير، إلا ببَلّ نسخة من هذا التأليف بالماء، وعند الله يجتمع الخصماء. وكان مما فدره الله تعالى من الإيقاظ، الذي يحصل به الاتعاظ، أنَّ بعد عشرين يوماً مِن بَلّ المؤلَّف المذكور، حصل لمكة سيل عظيم مشهور، دخل إلى الكعبة الشريفة والمسجد الحرام، وبلّ فيه المصاحف والربعات العظام، فقال في ذلك بعض الأدباء الحسَن المسالك، منبهاً للموعظة هنالك، بأبيات مطولة ومختصرة، فأذكر منها هنا الأخيرة وهي:

مَ حَ . ا مؤلَّ . ف ج . ار الله أفئ دة	في شهر شـ عبان يوم الخمس منه فقط
فجاءه ا السـ يل في خمـ س ويعقبها	عشـ رون من عام محط والبناء سـ قط
فه . ذه نُصـ . رة ع مّ ت وتـ ذكرة	فيه ا اعتبـ ار لمـ ن وَدّى بهـ ا ولَغط

فحينئذ دلني ذلك على كثرة الجهل والبهتان، ونقصان أهل الزمان، وعُدم كثير من العلماء يرجعون إليه ويعولون في أمورهم عليه[١].

ومن وسائل الرد على المنكرين عمد المؤلف إلى الاستنجاد والانتصار بالعلماء من خارج مكة، فتوجّه إلى أربعة من علماء القاهرة ينسب كل واحد منهم إلى مذهب من المذاهب السنية الأربعة. كما توجّه أيضا إلى صديق له من علماء الشام، دمشقي اشتهر بعلوم التاريخ والأدب والحديث وألّف فيها المؤلفات العديدة. فطلب منهم جار الله آراءهم في تأليفه ليكون له في أجوبتهم نصرة لكتابه وردًّا رادعًا للمنكرين والمعارضين المكيين. ذكر ذلك في نص واضح فقال:

ثم إني كتبتُ سؤالاً لعلماء القاهرة، أطلب منهم النصرة ودفع المقاهرة، في عام تسع وأربعين وتسعمائة [٩٤٩هـ ./١٥٤٢م] لمن أنكر عليّ فعل هذا التأليف. فكتب لي عليه جماعة من علماء المذاهب الأربعة بجواب لطيف. وصورة ذلك، ليقتدي به كل مُهْتَدٍ سالك: ما قولكم - رضي الله عنكم - في رجل مِن طلبة العلم اطّلع على كتاب يقال له مفيد العلوم، لعالم الحنفية أبي بكر محمد بن موسى الخوارزمي المعلوم، ورأى فيه أبواباً في ذكر عِلل الأشراف، ذكر فيها جماعة من أكابر سلَف الأمة وخلَفها ممن اتصف بذلك كالأعرج والأقرع والأعمى وأشباهها. فلما رآه ألف كتاباً مفرداً في

(١) نفس المصدر ١٥ أ - ب. وهذا من خرافات ذلك العصر.

هذا المعنى معلّلا إقدامه على ذلك بما علل به صاحب الكتاب المذكور من قصد العِظة والاعتبار والتسلية. فهل القصد المذكور يبيح الإقدام على ذلك أم لا؟ أفْتُونا مأجورين أثابكم الله تعالى الجنة.

وكتب عليه أربعة أنفس منهم ونقلتُ من خطهم ما صورته فالأول: الحمد لله رب العالمين، اللّهم صلّ على محمد وآله وسلم. الإقدام على ذلك بالقصد المذكور ليس قبيحاً، وقد سبق إلى هذا ابن قتيبة وذكر أهل العاهات كالبُرْص والعُرْج والصُّمّ والجُذْع والحُول والزُّرق والفُقْم والكواسج والصُّلع والبُخْر والعُور والمكافيف. والله سبحانه وتعالى أعلم.

وكتبه مسلم المدعو أبو الفيض بن علي السلمي الحنفي، عفا الله عنه.

وكتابة الثاني: بعد الحمد لله، اللهم ألهمني الصواب، جوابي كذلك والله أعلم بالصواب. كتبه أحمد بن النجار الحنبلي حامد الله ومصلياً ومسلماً.

وكتابة الثالث: الحمد لله رب العالمين، جوابي كذلك. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. وكتبه الفقير ناصر اللقاني المالكي حامداً مصلياً ومسلماً.

وكتابة الرابع: الحمد لله جوابي كذلك والله أعلم، وكتبه أحمد البلقيني الشافعي لطف الله به والمسلمين آمين. انتهى ما كتبه علماء القاهرة من المذاهب الأربعة ولله الحمد والمنة.

ثم وصلني في عام تاريخه رسالة من الشام، كتبها لي العلامة الهمام، محدث دمشق ومؤرخها ومحيي علوم الأثر فيها الشمسي أبو عبد الله محمد بن طولون الصالحي الحنفي - نفع الله به - وعاملني وإياه بلطفه الخفي، ذكر فيه: وأما ما ذكرتموه من أمر مؤلَّفكم النكت الظراف فقد قال الإمام شمس الدين محمد بن مفلح الحنبلي في كتابه الآداب الشرعية: ذكر القفطي عن قوم أن الغِيبة إنما تكون في الدين لا في الخلقة والحسب إلاّ إذا قال ذلك على وجه العَيْب. وعلى ذلك مشى الإمام أبو محمد بن قتيبة في كتابه المعارف فإنه ذكر فيه الفُلَج، والعرج والبرصُ ونحو ذلك.

ولا شك أن المصنفين ألّفوا في هذا المعنى كالصلاح الصفدي في كتابه الشعور، بأخبار العوُر ونَكتْ الهَميَان، في نُكت العميان وأنهم لم يقصدوا العيب وإنما قصدوا

العلم والإحاطة لمن اتفق له ذلك من الأعيان، وإفادته لمن بعده الاعتبار والاتعاظ، كما نقله العلماء الأيقاظ. انتهى.

وقد وصل مشرّفكم وأنا أكتب في تعليقي «تعجيل البشارة لمن صبر، على ذهاب البصر» فكان مانعاً لي من ذكر أحدٍ من الأحياء فيه وهو في عشر كراريس. انتهى بحروفه ولله الحمد[١].

مصادر الكتاب:

يمكن أن نقسّم مصادر جار الله في الكتاب إلى نوعين:

(أ) مشاهداته: ومنها استقى الأخبار التي أوردها نتيجة لمشاهداته ومعايشته للحدث.

(ب) نقوله من الكتب وهي الأخبار التي أوردها من المصادر المكتوبة (المؤلفات) ونقل منها عناصر تهمّ الموضوع.

أ) أما الأخبار التي أوردها المؤلف نتيجة لمشاهداته ومعايشته للأحداث فقد أضافت معلومات تفيد من الناحية التاريخية التي تهمّ عصره. ويمكن أن ننوّع أخبار عصره إلى ميادين تتنوّع كما يلي:

- أخبار متعلقة بالخلاف الذي قام بين المؤلف وبين المنكرين عليه تأليفه مما ذكرناه سابقًا. وقد وردت في الورقات ٢ ب، ٩ ب، ١٢ ب، ١٤ ب، ١٥ أ، ٣٨ أ، ٥٨ ب، ٥٩أ.

- أخبار ذكر فيها علماء معاصرين له من مكيين وغير مكيين أصيبوا بعاهات جسدية. وهؤلاء المذكورون في نص الكتاب هم: ومعاصروه المذكورون هم: علي السنهوري ومحمد الداودي المالكي ومحمد الدواخلي والمستمسك ابن المتوكل العباسي والتقي الفاسي وكمال الدين القسطلاني والشمس البساطي وعبد القادر بن أبي القاسم المكي وأبو السعادات الطبري ومحمد بن عبد القوي البجائي وزكريا الأنصاري وعبد الحق السنباطي وأبو بكر بن قاضي

---

(١) نفس المصدر ١٣ ب – ١٤ب.

عجلون وقطب الدين محمد بن سلطان ومحب الدين النويري ومحمد بن علي بن الصائغ وأبو بكر الحبشي الملقب بالعيدروس وعبد القادر البهنساوي وعبد الوهاب الكرماني ومحمد النهروالي وابنه قطب الدين النهروالي المؤرخ ومحمد بن مخراق البصري وأحمد الرداد اليمني وعلاء الدين بن مليك الحموي وعبد اللطيف الديربي، ابن حجر المكي الهيتمي. وردت أخبارهم في الورقات، ٢٣ ب، ٢٤ ب، ٢٦ أ، ٤٤ ب، ٥٠ أ، ٥٠ ب، ٥١ أ، ٥١ ب.

- خبر عن حوار وقع بينه وبين أحد معاصريه وهو أيوب الأزهري المكي في الورقة ٨ أ.
- خبر منقول مباشرة عن بعض أهل الأدب يذكر قصة لها علاقة بالدعوة إلى الصبر وذلك في الورقة ٨ ب.
- أخبار ونصوص تنقل أشعارًا قالها بعض معاصريه وردت في الورقات ١٥ أ و ب، و٢٤ أ، ٢٦ ب.
- خبر عن سيل حدث بمكة في سنة ٩٤٨ هـ / ١٥٤١م. وذلك في الورقة ١٥ ب.

ب) وأما الأخبار المنقولة من الكتب فهي كثيرة. وبما أن مصادر أي تأليف يجب أن تتناسب مع موضوع الكتاب، كما يجب أن تكون متناسبة مع اختصاص المؤلف في ثقافته ومع مستوى معرفته وثقافته كثرة واتساعًا أو ضيقًا ومحدودية.

فالناظر في عنوان الكتاب يلاحظ أنه وُضع لغاية تاريخية في الدرجة الأولى ثم غاية تربوية، حيث قصد به تسلية المصابين بالعاهات الجسدية حتى يقوّي تحمّلهم لمصابهم بالاعتماد على التوعية الدينية وبواسطة النصوص الحديثية وقصص المصابين من الأنبياء والصالحين والمشاهير من الناس، مع التذكير بثواب الصابرين.

إنّ العارف بشخصية المؤلف واختصاصه العلمي يلاحظ أن جار الله بن فهد كان محدِّثًا بلغ درجة الحفظ في الحديث وهو ما اشتهر به في عصره، ثم هو مؤرخ بارع في مجال سرد الحوادث تدلّ على ذلك مؤلفاته التي مسّتْ أغلب فنون الكتابة التاريخية المتداولة في عصره. وهو ما حاولنا توضيحه في الترجمة الموجزة التي قدمناها سابقًا.

ومن خلال موضوع الكتاب واختصاصات المؤلف العلمية نستطيع أن نقرأ قائمة الكتب التي اعتمدها المؤلف في كتابه واتخذها مصادره فيه. وهي حسب الاختصاصات كما يلي[1]:

كُتب التفسير:

- تفسير الرازي ١٧.
- تفسير الكشاف لجار الله الزمخشري ١٦.
- كتاب نفائس العرائس للثعالبي ٧ب، ١٨أ

كتب الحديث:

- صحيح البخاري ٧ أ، ٤٢ ب.
- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري لمحمد الكرماني ٢٢.
- كتب السنن لابن ماجة والنسائي ١٦.
- التهذيب للنووي ٦.
- المقاصد الحسنة للسخاوي ٤ أ، ٦.
- النهاية في غريب الحديث والأثر للمبارك ابن الأثير ٤١.
- المعجزات، لسيد السادات، لعمر بن الوردي ٣٠.
- النجم الثاقب، في أشرف المناقب، لحسن بن حبيب الحلبي ٢٨.
- سيرة ابن إسحاق ٦ ب، ١٨.

كتب الآداب والأخلاق الدينية:

- أدب الدنيا والدين للماوردي ٨.
- الرعاية لحقوق الله للمحاسبي ٩ أ، ١٢ – ب.
- كتاب مفيد العلوم، ومبيد الهموم، للخوارزمي ٢ ب، ١٦ أ – ب، ٢٥ ب، ٤٠ ب، ٤٩ ب، ٥٤ أ – ٥٨.

---

(١) نحيل بعد ذكر المصدر إلى الورقة أو الورقات التي نقل فيها المؤلف عن مصدره ذاك.

- كتاب المواهب اللدنية للقسطلاني ٣ ب، ١٧ ب، ١٩ ب، ٢١ أ، ٢٧ ب، ٣٨ ب، ٤٣ ب، ٥٢ أ، ٥٣ أ.
- درر أنباء، نجباء الأبناء، لابن ظفر المكي ٤٤.

كتب اللغة والأدب:

- صحاح اللغة لأبي نصر الجوهري ٤١.
- شعر أبي العتاهية ١٦.
- شرح لامية العجم للصلاح الصفدي ٥١.

كتب التاريخ والتراجم:

- تاريخ المدينة للسخاوي ٥٠.
- تاريخ الخلفاء للسيوطي ٤٠ أ
- الإعلان بالتوبيخ، لمن ذمّ التاريخ، للسخاوي ٢.
- الدر الكمين للنجم بن فهد ٢٤.
- الضوء اللامع للسخاوي٢٣ ب، ٢٥.
- طبقات النحاة للسيوطي ٢٣ أ، ٤٠.
- أُسد الغابة، في معرفة الصحابة، للعز ابن الأثير ٢١ أ، ٤٠.
- تذكرة الحُفّاظ للذهبي ٢٢ ب
- طبقات القراء للذهبي ٢٢.
- نهاية التقريب للتقي بن فهد ٢٢.
- اللباب، في الأنساب، للعز ابن الأثير ٣.
- المختار، في مناقب الأخيار، للمبارك ابن الأثير ٤٦ ب، ٤٩.
- عمدة الناس، في مناقب العباس، للسخاوي ١٩.

- تحفة اللطائف، في فضل الحبر ابن عباس ووج والطائف، لجار الله بن فهد ١٩.
- مناقب الشافعي للبيهقي ٤ ب.

لقد حاول المؤلف في مقدمة الكتاب أن يبيّنَ منهجه في التعامل مع المصادر. فبعد أن عرض عناوين بعض مصادره التزم بأن يذكر مصادره ويعزو منقولاته منها فقال: وأعزو كلاً منها لقائلها كأسماء الرواة..[١]. وعلى الرغم من أنه كان - في الغالب - دقيقًا في نقله من مصادره فقد حدثت له بعض التجاوزات في منهج اعتماد المصادر واستعمالها في نصه.

فنراه أحيانا يحيل إلى أسماء المؤلفين وينقل عنهم نصوصا دون ذكر عنوان التأليف، مثل نقله عن معاصره ابن أبي شريف دون تحديد مصدره[٢]، كما ينقل عن شيخ شيوخه ابن حجر العسقلاني دون ذكر كتابه[٣]. وأحياناً يلجأ إلى العموميات التي لا تحديد فيها، مثل أن يقول: قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم[٤] أو يقول: قال الفقهاء والعلماء النبلاء[٥] أو قال بعض الأدباء[٦].

ومن خلال مطالعات المؤلف عثر على عناوين كُتبٍ تتعلق بموضوع تأليفه فعرفها وعرف أصحابها وعرّف بالمصادر التي ذكرتها، إلاّ أنه لم يتمكّن من الاطلاع عليها. وقد بيّن ذلك في مقدمة الكتاب قائلاً: وأما العُور والعُمْش والعميان والحدبان فللعلامة الصلاح الصفدي فيها تصانيف، إلى غيرها من التآليف. وقد بلغني مِن أسمائها نَكْتُ الهمَيان، على نُكَتِ العميان، والشعور، بالعُورِ. وللعلامة النحوي أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ كتاب العرجان والبرصان والقرعان[٧]. كما ذكره شيخنا الحافظ جلال الدين السيوطي في طبقات النحاة الأعيان، ولم أطّلع عليها لكني رأيتُ الصلاح الصفدي ذكر نبذة منها في شرحه على لامية العجم، كما سيأتي وتعلم، مع غيرها[٨].

---

(١) جار الله بن فهد: النكت الظراف ٣ أ.
(٢) نفس المصدر ١٢ب.
(٣) نفس المصدر ٤ ب.
(٤) نفس المصدر ٧ أ.
(٥) نفس المصدر ١٢ ب.
(٦) نفس المصدر ١٥ ب.
(٧) نقل المؤلف عن السخاوي بتصرف واختصار. انظر: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ص٨٤-٨٩.
(٨) جار الله بن فهد: النكت الظراف ٢ ب - ٣ أ.

أسلوب المؤلف مع بعض المآخذ على المنهج:

ملاحظة أولى يمكن أن نلاحظها في أسلوب الكتاب وهي أن المؤلف سلك مسلك السجع في كامل كتابه وحرص على أن يكون سجعًا متكلّفًا، فيه الكثير من الثقل وعدم التلقائية، ومن الغريب أن المؤلف لم يسِرْ على هذا النمط في مؤلفاته الأخرى(١). كما أن ذلك لم يحدثْ في مؤلفات والده العز ولا مؤلفات جدّيْه نجم الدين وتقي الدين. فقد التزم في تأليفه هذا السجع من أوله إلى آخره.

ثم بالإضافة إلى ما كنتُ ذكرتُه أعلاه عن منهجه في التعامل مع المصادر والنقل منها واختيارها يمكن أن أُضيف أنه قد يحدث له أحيانا أن ينقل نصوصًا ويورد أخبارًا لا علاقة لها بموضوع كتابه ولا هي مناسبة للفقرة أو الفصل أو غير ذلك.

ففي الورقة ٣ ب يورد نصًا فيه ذكر خصائص اسم النبي صلى الله عليه سلم دون أن يكون له مناسبة بحال.

وفي الورقة ٣٤ ب يورد قصة الأسود العنسي وهي في غير محلِّها لانعدام المناسبة أيضا.

وفي الورقة ٣٩ أ يورد خبر خطبة زهير بن كعب ضمن قائمة البُرْص دون أن تكون لذلك مناسبة واضحة.

---

(١) انظر مثلاً أسلوبه في كتابه نيل المنى.

كلمة المحققة

خلال مطالعتي لترجمة جار الله بن فهد المكي في كتاب التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر لشيخي الأستاذ الدكتور محمد الحبيب الهيلة لفتَ نظري عنوان كتاب من مؤلفات جار الله منه نسخة وحيدة كُتبتْ بخط مؤلفها. ثم عدتُ إلى ترجمات كثيرة أخرى لجار الله بن فهد فلم أجد فيها للكتاب ذكرًا. واستهواني الموضوع الطريف لهذا الكتاب إذ حاول فيه صاحبه أن يجمع أخبار المشاهير ممن أصيبوا بعاهات جسدية في التاريخ السابق أو في عصر المؤلف وجعل عنوانه « النكت الظراف، في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف». وأبديتُ رغبتي لشيخي أ د. الهيلة ليسمح لي بالاطلاع على النسخة المصورة منه والتي كانت ضمن مجموعته الثرية من مصوراته للمخطوطات المتعلقة بتاريخ مكة المكرمة فأمدّني بها مشكورًا. ثم أبديت له رغبتي في تحقيقها فشجّعني على ذلك لما في النص من فوائد تاريخية تكشف عن بعض جوانب الحياة الثقافية والاجتماعية لمكة المكرمة خلال القرن العاشر الذي عاش فيه المؤلف المكي.

انصرفت إلى تحقيق الكتاب رغم ما لاقيتُ من الصعوبات وما واجهتني من مشاكل في قراءة النص. فعلى الرغم من أن النسخة كُتبتْ بخط المؤلف جار الله بن فهد إلاّ أن قراءتها تستعصي بل وتصعب على القارئ والمحقق لما عُرف به خط الرجل من انعدام جمال وخلو من دقة وتداخل الحروف مع إهمال يكاد يكون كليًا للشكل والضبط وترك غالب النقط والإعجام، وهو ما يلاحظه قارئ هذا التحقيق عند اطلاعه على الصفحتين المصورتين منه والمعروضتين في نهاية هذه المقدمة القصيرة. ويضاف إلى الصعاب ما وُجد في المخطوط من نقص واضح لبعض ورقاته وما أصاب الأصل من ترهّل وترميم أودى ببعض أسطره وكلماته.

وعلى الرغم من ذلك فإنّي توكلت على الله وشرعت في قراءته وحل رموزه ثم تحقيقه لكي يستفيد منه الباحثون وينهلوا من مختلف المعلومات التي احتوى عليها.

وإني لا أزال أعتقد أن الكتاب يحتاج إلى دراسة علمية توضح أهمية ما اشتمل عليه من أخبار العصر في مكة المكرمة وتكشف عن محتواه ومنهجه ومصادره، مع عناية خاصة بما أثير حول تأليف هذا الكتاب من خلاف ونقاش حادٍّ بين المؤلف من ناحية وبين بعض علماء مكة ومثقّفيها من ناحية أخرى، مما جعل المؤلف يلجأ إلى تحكيم علماء من القاهرة ومن دمشق فإذا هم يعبّرون عن آرائهم ومواقفهم من موضوع الكتاب.

كل هذه العوامل شجعتني على تحقيق الكتاب رغم صعوباته. والله هو المعين وهو ولي التوفيق.

المقدمة في التعريف بالمؤلف و بالكتاب:

ارتبطت الكتابة التاريخية في مكة المكرمة بالحديث النبوي الشريف للمصطفى ﷺ! وخاصة خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين حتى لا تكاد تجد مؤرخاً ليس بمحدث، كما قل أن تجد محدثاً غير مؤرخ.

وفي هذا المجتمع ظهرت شخصيات كثيرة من المحدثين المؤرخين منهم عائلة عُرفت بهاذين الاختصاصين، إنها عائلة مكية اجتمع فيها أربعة حُفاظ للحديث متوالية عصورهم وكل واحد من هؤلاء الأربعة يُعتبر من أكبر المؤرخين المكيين، أُشير بهذا إلى عائلة (الفهود)[١] أي بني فهد.

أشهر من ظهر من بني فهد هؤلاء الحُفاظ الأربعة:

أولهم: تقي الدين محمد بن فهد (ت٨٧١هـ /١٤٦٦م) الذي ألف كتاب لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحُفاظ، وكتاب نهاية التقريب وتكميل التهذيب بالتهذيب، وغيرهما.

ثانيهم: النجم عمر بن فهد (ت٨٨٥هـ /١٤٨٠م) صاحب المعلمة الكبيرة التي عنوانها: إتحاف الورى، بأخبار أم القرى، وصاحب الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، وغيرهما من المؤلفات الكثيرة في علم الحديث.

ثالثهم: العز عبد العزيز بن فهد (ت٩٢٢هـ /١٥١٦م) الذي ذيّل على كتاب والده

---

(١) كان أهل مكة يسمون هذه العائلة بعائلة الفهود.

بتأليفه: بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى، وألّف كتابه: غاية المرام، بأخبار سلطنة البلد الحرام، مع مؤلفات حديثية أخرى كثيرة.

رابعهم: الحفيد جار الله محمد بن فهد (ت٩٥٤هـ ./١٤٤٧م) الذي أكمل على كتاب أبيه وجده في التاريخ المكي فوضع كتابه: نيل المنى، مع مؤلفات عديدة أخرى في الحديث وعلم التاريخ. وهو مؤلف هذا الكتاب الذي نحققه للقراء والباحثين، وعنوانه: النُّكَت الظراف، في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف.

عائلة بني فهد:

هي عائلة مكية شافعية المذهب مالت إلى الاختصاص في الحديث والتاريخ. قال عنها الكتّاني في فهرس الفهارس «أبناء فهد في الرواة كثير، وهم بيت كبير بمكة.. وأنت إذا تأملت قلّ أن تجد في بيت في الإسلام أربعة من الحفاظ في سلسلة واحدة من بيت واحد يتوارثون الحفظ والإسناد غير هذا البيت العظيم»[١].

وهم الأربعة الذين أشرنا إليهم سابقاً. ودلّت الكثير من المصادر على أنّ لبيت بني فهد مكتبة عظيمة جمعت العديد من الكتب الأمهات، والكثير منها بخطوط بني فهد، واستفاد منها العديد من العلماء المكيين والواردين على مكة[٢]، كما عُرف العديد من علماء مكة ممن ينتسبون إلى هذه العائلة بداية من أول القرن الثامن إلى آخر القرن العاشر. وقد أُحصِيَ منهم واحد وعشرون عالماً من أصحاب المؤلفات والدروس والمحاضرات، إلا أن آخرهم عبد الرحمن ابن أخي المؤلف عبد القادر المتوفى سنة ٩٩٥هـ ./١٥٨٧م كان آخر من عُرف من علماء بني فهد مما جعل الكتاني يقول عنه: «ولعله آخر فقهاء ومسندي بني فهد بركة فإنه انقطع ذكرهم من بعده في الفهارس والأثبات التي وقفتُ عليها»[٣] وهكذا تكون عائلة بني فهد عاشت طيلة ثلاثة قرون من المشاركة في الحياة العلمية بمكة سواء بالمؤلفات أو التعليم والتدريس والإجازات.

---

(١) الكتاني: فهرس الفهارس، ص٩١٠-٩١٢.

(٢) الكتاني: المصدر السابق، ص٧٣٤.

(٣) محمد الحبيب الهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص١٠٢-١٠٥.

المؤلف: اسمه:

هو جار الله محمد بن العز عبد العزيز بن النجم عمر بن التقي محمد بن فهد المكي الهاشمي، يكنى بأبي الفضل وبمحب الدين. ولد بمكة المكرمة في شهر رجب سنة ٨٩١هـ ./١٤٨٦م من أم مكية تُنْسَب إلى نفس العائلة، جدّها الأعلى هو التقي بن فهد، فهي إذن ابنة عم والده. نشأ جار الله في بيئة علمية فاهتم به والده وأحضره دروس كبار الشيوخ كالحافظ شمس الدين السخاوي، كما أُحْضِر على غيره من العلماء، بالإضافة إلى ما حمله من العلم عن والده. ثم بدأ رحلاته العلمية وهو لم يتجاوز ثلاثًا وعشرين سنة فسافر إلى القاهرة سنة ٩١٣هـ ./١٥٠٧م وسافر إلى اليمن سنة ٩١٤هـ ./١٥٠٨م ثم قام برحلة علمية كبيرة دخل فيها مصر ثم دمشق وذلك في سنة ٩٢١هـ ./١٥١٥م. وتوطدت علاقاته فيها بالكثير من العلماء. وقام برحلة أخرى إلى بلاد الروم (تركيا) في سنة ٩٢٨هـ ./١٥٢٢م وعاد إليها في رحلة ثانية سنة ٩٣٤هـ ./١٥٢٧م. وجمع من كل هذه الرحلات العلمية معارف هامة مع حضوره لدروس العدد الكبير من علماء مكة والواردين عليها أو المقيمين بها مما مكّنَه من زاد كبير في العلوم ومكانة محترمة في المجتمع، وهو ما تدل عليه مؤلفاته. وظل يكتب ويؤلف إلى أن توفي بمكة في ١٥ جمادى الثانية سنة ٩٥٤ هـ ./١٥٤٧م[1].

مؤلفاته:

بلغ عدد مؤلفاته في التاريخ والحديث خمسًا وثلاثين كتاباً بين صغير وكبير أهمها - حسب ما يبدو - كتاب: تحفة الأيقاظ بتتمة ذيل طبقات الحفاظ، وكتاب: الجواهر الحسان في مناقب السلطان سليمان بن عثمان، وكتاب: حُسن القرى في أودية أم القرى، وكتاب: نيل المنى، بذيل بلوغ القرى، لتكملة إتحاف الورى الذي يعتبر من أهم آثاره التاريخية حيث أكمل به كتاب جده وذيّل على والده وجمع فيه من أخبار مكة المكرمة السياسية والاجتماعية والحضارية طيلة خمس وعشرين سنة وسبعة أشهر مقدماً صورة واضحة عن التاريخ المكي مُياومة على نظام الحوليات[2].

(١) محمد الحبيب الهيلة: المرجع السابق، ص١٩٥-٢١٣.

(٢) حققه الأستاذ الدكتور محمد الحبيب الهيلة وطبعته مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.

مصادر ترجمته:

لجار الله بن فهد ترجمات كُتبتْ من معاصريه وممن جاء بعدهم:

فمن معاصريه: السخاوي في الضوء اللامع ٥٢/٢، ووالده العز بن فهد الذي ذكره مرات كثيرة في كتابه بلوغ القرى، وصديقه ابن طولون الشامي الذي تحدث عنه في كتابه مفاكهة الخلان مرات في الجزء الثاني من ص ٦ إلى ص٦٣.

أما من جاء بعد عصر المؤلف فهم العيدروسي الذي ترجمه في النور السافر ١٣١/٢! وابن العماد في شذرات الذهب ٣٠١/٨، ومرداد في المختصر من نشر النور والزهر ص١٥٢-١٥٣.

أما من المعاصرين فقد ترجمه الزركلي في الأعلام ٢٠٩/٦، وكحالة في معجم المؤلفين ١٧٥/١٠-١٧٦، كما كتب عنه د. ناصر الرشيد في مجلة العرب سنة ١٣٩٧هـ . عدد ١١-١٢، ود. محمد الحبيب الهيلة في كتابه التاريخ والمؤرخون بمكة ص١٩٥-٢١٣.

الكتاب:

عنوانه:

كتاب النكت الظراف، في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف:

موضوعه:

هو كتاب جمع فيه المؤلف أخبارَ مَن أُصيب بعاهة جسدية واشتهر بها.

أراد منه المؤلف أن يجمع أخبار المشهورين ممن أصيب بعاهة من العاهات سواء من أهل الدين أو أهل السياسة أو أهل العلم، خاصة ممن اشتهروا في ميادينهم ومجالاتهم. وكان قصد المؤلف كما يقول في المقدمة وضمن نصوص الكتاب أن يجعل من ذكرهم موعظة وتسلية لمن أصيب بمثلها حتى يقوّي صبره على تحمل بليته. فذكر منهم بعض الأنبياء، وبعض الصحابة، والكثير من أهل السلطة بالغاً إلى ذكر العديد من العلماء المشهورين سواء ممن تقدم عصره أو تأخر فكان معاصراً له.

وهكذا نجد الكتاب قد احتوى على مجموعة هامة من الأخبار التاريخية تُكمل جوانب من تراجم المذكورين فيه. إلاّ أن المؤلف جار الله بن فهد اشتهر بعلم الحديث كما اشتهر بالمؤلفات التاريخية الكثيرة، لذلك نجده في كتابه هذا يجمع بين نصوص الاختصاصيْن. خاصة وأنه في سبيل غايته التربوية كان لابد له من أن يلجأ إلى نصوص الحديث النبوي التي تتناول موضوع الصبر، ومواجهة البلاء، والتغلب عليه بالإحساس الديني وبما وعد الله الصابرين، وبما أكد رسول الله ﷺ من أحاديث أوردها متعددة اشتملت عليها كتب السنن وكتب السيرة النبوية الشريفة.

إلا أن ظهور هذا الكتاب أثار نقداً وضجة بين بعض علماء مكة المكرمة في عصره فانتُقد واتُّهِمَ صاحبهُ بالغِيبة. وبلغ الأمر بالمعارضين إلى أن بلّوا الكتاب بالماء لتذهب معالمه، وأرادوا تمزيقه. وفي ظروف غير واضحة وقع إتلاف النسخة الأولى من الكتاب، وقع ذلك في سنة ٩٤٨هـ ./١٥٤١م. إلا أن المؤلف أعاد كتابته في نُسَخ متعددة فكانت نسخته الأخيرة هي التي بين أيدينا وكانت قد صدرت في سنة ٩٥٠هـ ./١٥٤٣م وفيها ذكر بعض ما وقع لهذا التأليف من معارضة وموافقة سواء من علماء مكيين أو مصريين أو شاميين.

كل ذلك دلت عليه بتفصيل نسخة الكتاب التي بين أيدينا، والتي هي بخط المؤلف المعروف لدى الباحثين.

وقد اشتمل الكتاب على الكثير من النقول ع ن المؤرخين القدماء سواء من كتب السيرة، أو كتب التراجم، أو كتب التربية الدينية والموعظة والإرشاد، بالإضافة إلى ما أورده من أخبار معاصريه. وقسمه إلى مقدمة وبابين وخاتمة.

اشتملت المقدمة على: الأحاديث والأخبار الواردة في ذوي العاهات، واشتمل الباب الأول: على ذكر ذوي العاهات مجملاً وبيان الأشراف منهم مفصلاً. واحتوى الباب الثاني: على أخبار ما حدث لهم من العاهات كالعمى والعور والصلع والعرج، وغير ذلك. أما الخاتمة فقد أورد فيها النصوص المتعلقة بما يحصل للإنسان من الأجر والثواب مقابل مُصابه وعاهته.

المخطوط:

رغم ما بذلناه من جهد في البحث عن نُسَخ الكتاب فإننا لم نعثر إلاّ على نسخة واحدة كُتبت بخط المؤلف وحُفظت في مكتبة شستربيتي بإنجلترا ضمن مجموع تحت رقم ٣٨٣٨.

يقع المخطوط في ٥٩ ورقة، عدد أسطرها بين ١٨ و ٢٠ سطراً في صفحة الورقة، أصيب بنقص في ما بين ورقة - ٢٠ب و ٢١أ - ونقص آخر في ما بين ورقة - ٢٦ب و٢٧ أ - مع بياض في الورقة ٥٣ب حيث لم يُكتب فيها سوى سطرين، يبدو أن المؤلف تركها بيضاء لإكمالها بأحاديث مناسبة وذلك قبل الخاتمة، مع بياض جزيء ومتقطع في الورقة ١٠ أ - ب بسبب ترميمها الرديء.

وقد وضع المؤلف إضافات في حواشي النص وذلك في الورقة ١٨ ب، وفي الورقة ٢٣ ب و ٢٤ أ (وهي إضافات بعضها بخطه وهي مقروءة وأغلبها بخط غيره إلا أنها مقطوعة أوائل السطور مما جعلنا لا نقدر على تحقيقها ضمن النص).

وقد حرصتُ على تحقيق هذا المخطوط لما فيه من فائدة تاريخية تعم جوانب من تاريخ الإسلام وجوانب من التاريخ الثقافي لمكة المكرمة إذ هو يكشف عن خصائص بعض رجالات مكة، ويعطي صورة من صور الحياة الثقافية الاجتماعية والعلاقات بين العلماء والمثقفين فيها، بما في ذلك من نقد ونقاش واختلاف آراء.

فعملتُ على مقابلة نصوص الكتاب من المصادر التي اعتمدها ونقل عنها قدر الاستطاعة، فإنها كشفت لي عمّا كان غامضاً في المخطوط. خاصة وأن خط المؤلف جار الله بن فهد لم يكن جميلاً ولا مضبوطاً بالنُقط والحركات وإنما اشتهر بعدم الجمال، وعدم الدقة في كتابة الحروف والكلمات مما أثقل كاهلي. ووجدتُ فيه صعوبات لا يمكن أن يعرف مداها إلا المطلع على صور بعض ورقاته التي نعرضها في الصفحات الموالية.

فها أنا أقدم هذا الكتاب محققاً بإعانة من الله وفضله وتوجيه وإرشاد من أستاذي الفاضل ومقام والدي الكريم سعادة أ. د/ محمد الحبيب الهيلة حفظه الله وجزاه عني خير الجزاء، راجية من الله أن يجد الباحثون في عملي هذا مادة مفيدة في مجال التاريخ المكي خدمة لمسقط رأسي مكة البلد الحرام، آملة من الله الثواب والتوفيق.

إن ما تقدّم من تعريف بالمؤلف والكتاب وُضع كمقدمة للتحقيق، وإني اعتقد أن دراسة مفصلة للكتاب وتعريفًا أوسع بالمؤلف وظروف تأليفه له يستحقان عناية أكثر وتتبعاً أوسع وهو ما أنوي القيام به إن شاء الله.

كتاب النُّكَت الظِّراف،
في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف
تأليف جار اللّه بن فهد المكي

[١-ب] بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

يقول كاتبه الفقير الحقير، المعترف بالتقصير، الراجي عفو ربه القدير، حافظ حديث نبيّه المصطفى البشير، المسمى باسمه الأمجد محمد، المدعو جار الله بن عبد العزيز بن عمر بن تقي الدين محمد بن نجم الدين محمد بن أبي الخير محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن فهد الهاشمي المكي الشافعي، لطف الله به والمسلمين.

الحمد لله البرّ الجواد، الذي خلق الخلق كما أراد، ومنّ على عباده الأجواد، بصحة الأبدان الجياد، وابتلى من أحبّ من خلقه العُبّاد بمرض الأجسِاد، وتحمّل ذلك مَن اختاره مِن العباد، ليحصل له اللّطف والإسعاد. أحمده وأشكره على جزيل نعمائه، وأعوذ به من سائر مِحَنِه وابتلائه. وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار، الكريم الغفار. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار، المحذّر من بعض ذوي العاهات، في عدة من الروايات، والمتعوّذ ومن دعائه أن يقول (اللهم إني أعوذ بك من الصم والبكم والجذام وسيء الأسقام) والقائل [٢-أ] (لا خير في بدن لا يمرض ولا في مال لا يصاب). صلى الله وسلم عليه، وزاده فضلاً وشرفاً لديه، ورضي الله عن آله وأصحابه السادة الأشراف، وكل التابعين لهم بإحسان من العلماء الظراف، وسلم تسليماً كثيراً يحصل به الإسعاف.

وبعد، فهذا تأليف لطيف محتوٍ على معان ظراف، في ما ابتُلي به بعض الأشراف، وشاركهم فيه جماعة من العلماء الأعيان لإنفاذ حكم الله في عباده، وإبلاغ كل منهم لقصده ومراده.

سببه[١] أنني اجتمعت ببعض الأعيان، وأحد فضلاء الزمان، وذكرنا الماضيين من العميان والعوران والقرحان والصلعان، ممن حصل له ذلك من الأعيان، فتشوّقتْ نفسي لجمعه خصوصاً ورأيت بعض علماء الحنفية ذكره في وضعه. فلا يَظن بذلك الظانون، ما يعتقده الجاهلون، من ذوي العقول السخاف، بأنه ثلب للأشراف، وذلك منهم غِيبة وإلباس، ووقيعة في أكابر الناس، بل والله العظيم قصدت بتأليفه الإيقاظ، وتسلية من ابتلي به والاتّعاظ، لمن حصل له الابتلاء من الأكابر، في الزمن الغابر. واقتديتُ في فعل ذلك بمن سبقني من العلماء لهذا [٢-ب] الطريق السالك. منهم العلامة فقيه بغداد، أحد الأكابر الزهاد، المجدّد الدين لهذه الأمة على رأس المائة الرابعة أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي الحنفي رحمه الله تعالى، وعاملني وإياه بلطفه الخفي، لأنه ذكره في ثلاثة أبواب من تأليفه مفيد العلوم، ومبيد الهموم، كما سيأتي ذكره هنا وهو معلوم[٢].

بل قصدتُ شيخنا حافظ السنة المؤرخ العمدة شمس الدين أبا الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي نزيل الحرمين الشريفين ذكر في مؤلَّفه الإعلان والتوبيخ، لمن ذم التواريخ، أنّ التصانيف في التاريخ فكثيرة جداً لا تدخل تحت الحصر. ثم عدَّد منهم[٣] أنواعاً في أرباب العلوم والصفات والعقائد والصناعات ألّفها جماعة من العلماء الثقات، في عدّة من الطبقات، للماضين والمتأخرين كالأذكياء والمغفَّلين والمبتدعة والشيعة والبخـ ـلاء، والحِيَل والمكايد للعقلاء، [..........][٤] وأما العُور والعُمْش والعميان والحدبان فللعلامة الصلاح الصفدي فيها تصانيف، إلى غيرها من التآليف. وقد بلغني مِن أسمائها نَكْتُ الهميان، على نُكَتِ العميان، والشعور، بالعُورِ. وللعلامة النحوي أبي عثمان عمرو بن [٣-أ] بحر الجاحظ كتاب العرجان والبرصان والقرعان[٥]. كما ذكره

---

(١) في حاشية الورقة من الجهة اليسرى هامش بخط المؤلف نصه: قصدت ببعض الأعيان خطيب المسجد الحرام الإمام ... أبي اليمن الطبري وأحد فضلاء الزمان المحبي محمد شيخنا أبو .... المكي الشافعيان أدام الله النفع بهما في كل زمان.

(٢) هامش طويل بعضه بخـ ط المؤلف وأغلبـ ـه بخط غيره. وتستمر الحاشية دائرة بكامل الورقة ٢ ب وواصلة إلى الورقة ٣ أ – وقد حدث سوء في التصوير وانقطاع كثير من كلماته بحيث تحذف أحياناً كلمة وتذكر كلمتان وهكذا دواليك، وبسبب ذلك تركنا نقلها .

(٣) كذا بالأصل والصواب: منها .

(٤) كلمتان ممحوتان بالأصل .

(٥) نقل المؤلف عن السخاوي بتصرف واختصار. انظر: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ص٨٤-٨٩.

شيخنا الحافظ جلال الدين السيوطي في طبقات النحاة الأعيان، ولم أطّلع عليها لكني رأيتُ الصلاح الصفدي ذكر نبذة منها في شرحه على لامية العجم، كما سيأتي وتعلم، مع غيرها. وأعزو كلاً منها لقائلها كأسماء الرواة المذكورين في كتاب اللّباب في الأنساب للإمام عز الدين علي بن محمد بن الجزري الشهير بابن الأثير الشافعي – رحمه الله تعالى –.

ولذلك رتَّبتُ مؤلَّفي هذا على مقدمة وبابيْن وخاتمة. وجعلت في آخر كلّ منهم[(١)] تتمة، هي للقصد مهمة.

فالمقدمة في الأحاديث والأخبار الواردة في ذوي العاهات مع نظم الأشعار.

والباب الأول في ذكر ذوي العاهات مجملاً، وبيان الأشراف منهم مفصلاً.

والباب الثاني في الحادث لهم من المرض كالعمى والعُوَر والصَّلْع والعرج وغير ذلك من المرض.

والخاتمة في الوارد للإنسان من المصاب وما يحصل له من الأجر والثواب.

وسميته [النكت الظراف، في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف][(٢)] وأسأل من الله تعالى العفو والعافية، والمعافاة الدائمة، [٣–ب] في الديـ ـن والدنيا والآخرة، وأن يلهمني فيه السداد، والموعظة به ليوم التناد، إنه بالآمال كفيل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

فأقول وبالله المستعان، وعليه التكلان:

مقدمة في الأحاديث والأخبار الواردة في ذوي العاهات مع نظم الأشعار.

نقل شيخنا العلامة المذكّر بالله تعالى شهاب الدين أحمد القسطلاني الشافعي – رحمه الله تعالى – في كتابه المواهب اللدنية، بالمنح المحمدية، أن في اسم نبينا محمد ﷺ خصائص منها كونه على أربعة أحرف لتوافق اسم الله تعالى باسم محمد فإن عدد الجلالة أربعة أحرف كمحمد، ومنها قيل إن مما أكرم به الآدمي أن كانت صورته على

(١) كذا بالأصل – و الأصح منها.
(٢) ورد العنوان ممحواً من الصورة لأنه كُتب في الأصل بلون غير أسود فلم يظهر في التصوير. واعتمدنا في نصه على ما ورد في ورقة العنوان المكتوبة بخط المؤلف.

شكل كِتابة هذا اللفظ، فالميم الأولى رأسه والحاء جناحه والميم الثانية سُرته والدال رجلاه. قيل: ولا يدخل النار من يستحق دخولها - أعَاذنا الله منها - إلاَّ ممسوخ الصورة إكراماً لصورة اللفظ.

حكاهما ابن مرزوق. والأول ابن العماد في كتابه كشف الأسرار. انتهى.

وأما المشفّح من أسمائه ﷺ فهو بِضمّ الميم وبالشين المعجمة وبالفاء المشددة المفتوحتين ثم حاء مهملة، وقيل: بالقاف بدل الفاء ففي البشارة به [٤-أ] ﷺ لفتح العيون العُور والآذان الصمّ وإحياء القلوب الغُلف وما أُعْطِيه لا يُعطى أحداً. ومشفح: يحمد الله حمداً جديداً، وهو بالسريانية: الحمد. انتهى[١].

ووجدت شيخنا خاتمة الحفاظ الشمسي أبا الخير السخاوي - رحمه الله تعالى - ذكر في مؤلفه المقاصد الحسنة، مما اشتهر على الألسنة، أحاديث في التحذير من بعض ذوي العاهات مع عدة أخبار مرويات منها حديث «اتّقوا ذوي العاهات» قال: لم أقف عليه، ولكن سيأتي من كلام الشافعي في حديث «إياك والأشْقر الأزرق» كما سأذكره هنا.

وروِيْنا من طريق إسماعيل بن إسحاق بسنده عن الأعرج عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا هامة ولا صفر، واتقوا المجذوم كما يُتَّقى الأسد». ثم تكلم شيخنا السخاوي على إسناده وقال: إن الخطيب - يعني البغدادي - أشار إلى تخطئته. والمعنى: «فُرَّ من المجذوم فرارك من الأسد» كما ورد في بعض ألفاظ الحديث. وهو متّفق عليه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً بمعناه، فيمكن أن يكون المعنى باتقاء ذوي العاهات الفرار منها خوفاً من العدوى لا كما يتوهمه البعض. [٤-ب] ثم إن هذا في حق ضعيف اليقين وإلاّ فقد ورد «لا يُعدي شيء شيئاً ولا عدوى» ونحو ذلك كما تقرر في محلّه، انتهى.

ولقد أحسن شيخ شيوخنا الحافظ قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر الكناني الشافعي - رحمه الله - حيث جمع بين الحديثين بقوله: إنّ نفْي العدوى باقٍ على عمومه، والأمْر بالفرار من سدّ الذرائع كما بينه مطولاً في سؤال على الحديثين المذكورين قبل الآن، وبالله المستعان.

---

(١) القسطلاني: المواهب اللدنية، ٢/٢٥.

وأما حديث «إياك والأشقر الأزرق» فإنه من تحت قرْنِه إلى قدمه مكر وخديعة وغدر. وقال شيخنا السخاوي عقِبَهُ[1]. ذكره الديلمي عن ابن عمر مرفوعاً ولم يُسنده ولده يعني في مختصر مسند الفردوس لأبيه، ويشير إلى ذم الأزرق الأشقر. بل في مناقب الشافعي للبيهقي[2] أنه – رحمه الله – أمر صاحبه الربيع بن سليمان يوماً أن يشتري له عنباً أبيض، قال: فاشتريتُ له منه بدرهم، فلما استجاده وقال: يا أبا محمد ممن اشتريتَ هذا؟ فسَمّيتُ له البائع فتَخلّى الطبق من بين يديه وقال لي: أردُدْه عليه واشترِ لي من غيره، فقلت له: وما شأنه؟ فقال له: ألمْ أنْهك أن تصحب أشقر أزرق [٥-أ] فإنه لا ينجب، وكيف آكل من شيء يُشترى لي ممن أنْهَى عن صحبتِه.

قال الربيع: فرددتُه واعتذرتُ إليه واشتريت له عنباً من غيره.

قال الربيع: ووجّه الشافعي رجلاً ليشتري له عِنباً، فلما جاءه قال: اشتريته من أشقر كوسج؟ فقال: نعم، قال: عُدْ فردَّه عليه. زاد حرملة عن الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فما جاءني خير قط من أشقر.

وعن حرملة أيضاً سمعت الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: احذر الأعور والأحول والأعرج والأحدب والأشقر والكوسج وكل مَن به عاهة في بدنه، وكل ناقص الخلق، فاحذره فإنه صاحب التواء ومعاملته عسيرة. وقال مرة أخرى: فإنهم أصحاب خبث. قال ابن أبي حاتم: هذا إذا كان ولادُهُم كذلك، فأما مَن حدثت له هذه العلل وكان في الأصل صحيح التركيب فلا تضرّ مخالطته.

وعن الحميدي قال: قال الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: خرجتُ إلى اليمن في طلب كُتُب للفراسة حتى كتبتُهَا فجمعتُها. ثم لما كان انصرافي مررت في طريقي برجل وهو مُحْتبي بفناء داره أزرق العيْنين [٥-ب] نامي الجبهة سناط – أي لا شعر في لحيته – فقلت له: هل من منزل؟ قال: نعم، قال الشافعي: وهذا النعت أخبث ما يكون في الفراسة، فأنزلني فرأيته أكرم رجلٍ، بعث إليّ بعشاء وطيب وعلف لدابتي وفراش ولحاف، قال: فجعلت أتقلب الليل أجمع ما أصنع بهذه الكتب – يعْني التي في الفراسة – فلما أصبحتُ قلت للغلام: أسْرِجْ الدابة فأسرج فركبتُ ومررتُ عليه وقلت له: إذا قدمتَ مكة ومررتَ بذي

(١) السخاوي: المقاصد الحسنة، في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، ص١٨.

(٢) البيهقي: مناقب الشافعي.

طوى فاسأل عن منزل محمد بن إدريس الشافعـ ـي، فقال لي: أمَولَى كنتُ أنا لأبيك؟ فقلت: لا، قال: فهل كانت لك عنـ ـدي نعمة؟ فقلت: لا، قال: فأين ما تكلفت لك البارحة؟ فقلت له: وما هـ ـو؟ قال اشتريـ ـتُ لك طعاماً بدرهمين، وكراء الفراش واللحاف درهمان قال: فقلت يا غلام، أعْطِه ما قال، ثم قلت له: فهل بقي من شيء؟ قال: نعم كراء المنزل فإني وسّعت عليك وضيّقت على نفسي بتلك الكتب. فقلت له بعد ذلك: هل بقي شيء؟ قال: امضِ جزاك الله، فما رأيت قط شرّاً منك. انتهى.

ويقال إن الإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [٦-أ] زال ما عنده من الكرب في ما حصل من فعله وترداده في تحقيق فراسته التي كتبها في ذم الخصال التي هو مشتمل عليها. وأنه نظم هذه الأبيات في معنى الخصال المذمومات ممن وجـ ـد في وصفه منها، وحذّر من مخالطة أصحابها فقال.

تَـ ـوَقَّ رعاك الله تسـ ـعـ ـاً من البشـ ـ ـر ... فصحْبتهم تُفْضي إلـ ـى البؤس والضرر

وهـ ـ ـم أحْـ ـولٌ ثـ ـم احـ ـدبٌ ثـ ـم أعورٌ ... كـ ـذا كوسـ ـج ....[١] حـ ـول الكـ ـدر

وإيـ ـاك ذا الأذ ـ ـف الطويل وأشـ ـقـ ـرا ... فإنهـ ـمُ أهـ ـ ـ ـل الخيانـ ـ ـة والخـ ـطر

كـ ـ ـذا غائـ ـر العينين نامـ ـ ـيّ جبهـ ـة ... كـ ـذا أزرق العينيـ ـن فالحـ ـ ـذر الحذر

لكن روينا في الزهد من جامع الترمذي من حديث عاصم بن بهدلة عن مصعب عن سعد عن أبيه قـ ـال: قلت «يا رسول الله أي الناس أشدّ بلاء؟ قال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلباً اشتدّ بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتُلي على حسـ ـب دينه. فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة». وكذا هو عند النسائي في السنن الكبرى وابن ماجة في سننه والدارمي في الرقاق من مسنده وأخرجه أحمد بن حنبل وابن منيع وأبو يعلى وابن أبي عمر في مسانيدهم كلهم من حديث عاصم وهو عند مالك في الموطأ وآخرين، وقال الترمذي: إنه حسن صحيح.

[٦-ب] وصحّحه ابن حبان والحاكم وأخرجه أيضاً من حديث العلاء بن المسيب عن مصعب والطبراني من حديث فاطمة مرفوعاً بلفظ «أشدّ الناس بلاء الأنبياء ثم

(١) كلمتان غير مقروءتين في البيت .

الصالحون» الحديث. وأورده الغزالي بلفظ «البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل» انتهى ملخصاً من كلام شيخنا الحافظ السخاوي - رحمه الله تعالى - في مقاصده الحسنة، ولله الحمد والمنة.

ونقل جماعة من المفسرين والحفاظ المعتبرين أنّ جماعة من الأنبياء والعلماء الأتقياء امتحنهم الله تعالى بالمرض، وسلط عليهم قومهم بالأذى والغرض، مما لا أطوّل بذكرهم وأقتصر منه على أشهرهم وهو المبتلى الصابر نبي الله أيوب، الذي جُبِلتْ على محبّته القلوب، وقال ابن إسحاق: إنه ابن أموص بن رفلح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ وقيل: كان رجلاً من الروم وأبوه ممن آمن بإبراهيم يوم أُلْقِيَ في النار فبلغ من الخير ما يدوم، والصحيح في نسبه القول الأول، وخلافه ليس عليه مُقول.

وقال الإمام النووي في تهذيب: قال الله تعالى ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ [٧-أ]إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴾ إلى قـ ـوله ﴿ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾(١) وقوله تعالى ﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾(٢) الآية والتي بعدها. وفي صحيح البخاري حديث غسله عرياناً فخر عليه رجل حداد من ذهب فحَثَا منه في ثوبه وقال: لا غنى لي عن بركتك يارب. وكان ببلاد حوران وقبره بقرب نوى يُزار به الآن.

وقال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم: كان رجلاً كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه من الأنعام والعبيد والمواشي والأراضي المتسعة بأرض البلنية من حوران وكان له أولاد وأهلون كثيرون فسُلب من ذلك جميعه وابتلي في جسده بأنواع من البلاء ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه فذكر الله تعالى بهما. وهو في ذلك كله صابر محتسب ذاكر الله تعالى في ليله ونهاره وصباحه ومسائه، وطال مرضه سبع سنين حتى عافه الجليس، واستوحش منه الأنيس، ولم يبق أحـ د يحنو عليه سوى زوجته لقديم إحسانه وشفقته عليها مع ضعف حالها، وقلة مالها، حتى كانت تخدم الناس بالأجرة [٧-ب] فتطعمه وتقوم بأوده رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا وهي صابرة معه على ما حلّ بهما من فراق المال والولد والمصيبة بالزوج قِصير ذات اليد وخدمة الناس بعد السعادة والنعمة.

(١) القرآن: سورة ص، آية: ٤١-٤٤.

(٢) القرآن: سورة الأنبياء، آية: ٨٣.

وقد ذكر قصته بالتطويل وهب بن منبه وغيره من علماء بني إسرائيل ونقلها الإمام الثعالبي في نفائس العرائس مع أوصافه النفايس وقال ما ملخصه: كان رجلاً طوالا عظيم الرأس جعد الشعر حسن العينين، قصير العنق غليظ الساقين والساعدين، مكتوب على جبهته المبتلى الصابر لأن الله تعالى نبأه وسلّط عليه الرزق والدنيا فكانت له البلنية(١) من أرض الشام كلها سهلها وجبلها وبرّها وبحرها، وكان له فيها من أصناف المال من الإبل والبقر والغنم ما [ليس](٢) لأحدٍ مثله ولا أفضل منه في الكثرة والقدرة، وكان له بها خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد ولكل عبد امرأة وولد. وكان له أهل وولد رجال ونساء وكل منهم بَرٌّ رحيم يُعنى بالمساكين ويكفل الأيتام والأرامل ويرحم الضعفاء ويبلغ أبناء السبيل، وكان شاكراً لأنْعُم الله - عزّ وجل - مُؤدّياً لحقوق الله تعالى [٨-أ] قد امتنع من إبليس أن ينال منه ما نال من أهل الغنى من العزة والغفلة والتشاغل والسهو عن أمر الله - عز وجلّ - لما هو فيه من الدنيا، ومع هذا حصل له الابتلاء، بأنواع من البلاء، كما ثَبَتَ في الصحيح «أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمْثَل فالأمْثَل» الحديـ ث، ولم يزد هذا كله أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلا صبراً واحتساباً وحمداً وشكراً لله تعالى، حتى أنّ المثل لَيُضرب ببلائه وكذا بصبْره بقول من الله غفر الله زلّته.

وأعجب من هذا كله أنّ كل مَن يُسمّى باسمه بلاه الله تعالى بضرّه. وقد شاهدتُ شيخنا العلامة النحوي زين الدين أيوب الأزهري ثم المكي الشافعي - رحمه الله تعالى - وأدام النفع به ابْتليَ مراراً بالمرض، وحصل له القرح في رجله مع بعض الغرض، فشكى عليّ بعض أحواله فقلت له: ذُقْ بلاء أيوب، واصبر كصبره المطلوب. فانبسط لذلك وقال لي: عرفت مرضي وما جَنَى عليَّ في التسمية به إلا والدي، فرحمة الله عليه، وأسدى كل خير لديه. ووجدت تأييد ضرّه ممن محن باسمه أو الكنية به ما ذكره الإمام، أبو الحسن الماوردي في الشافعي - رحمه الله تعالى - في كتابه أدب الدين والدنيا قال: [٨-ب] أخبرني بعض أهل الأدب أنّ أبا أيوب الكاتب حبس في السجن خمسة عشر سنة حتى ضاقت حيلته وقلّ صبره فكتب إلى بعض إخوانه يشكو طول حَبْسه وقلّة صبره فرد عليه جواب رقعته:

---

(١) لعلها مدينة بالشام.
(٢) إضافة تتطلّبها صياغة الجملة.

صبْ ـراً أبـ . ـا أيـ ـوب صبْ ـر مبرّح   فإذا عجـ ـزتَ عن الخطوب فمن لها؟
إن الـ ـذي عقـ . ـد الـ ـذي عقدت له   عقـ ـد المكاره فيـ . ـك يملـ ـك حلّهـ ـا
صبـ ـراً فـ ـإن الصبر يُعقـ ـب راحـ ـة   ولعلّهـ . . ـا أن تنَجَلَـ . ـي ولعلّهـ ـا

فأجابه أبو أيوب رحمه الله:

صبّرتنـ ـي ووعظتنـ ـي وأنـ ـا لهـ ـا   وسـ ـتنجلـ ـي بـ . ـل لا أقـ ـول لعلّها
ويحلّهـ ـا مَـ ـن كان صاحـ ـب عقدها   كرمـ . ـاً بـ ـه إذ كـ ـان يملـ ـك حلّها

فلم يلبث بعدها إلا أياماً ثم أُطْلِق مكرما. انتهى[١].

وروينا في بعض الأثر، عن سيد البشر، ﷺ قوله: «ليوَدُّنَّ أهل العافية أن جلودهم تُقْرَضُ بالمقاريض في دار الدنيا لما يرون من ثواب أهل البلاء» وقد نظم معناه بعض أصحابنا الفضلاء والعلماء النبلاء فقال.

أهـ . . ـل البـ . ـلاء لهـ ـم   فـ ـي يـ ـوم المعاد ثواب[٢]
يـ ـودُّ مَـ ـن صَـ ـحّ جسـ ـماً   لـ . ـو أن يكـ ـون يُصـ ـابُ
وكـ ـان فـ . ـي دار دنيـ ـا   لـ . ـه السِّـ ـنـ ـان طِـ ـلاب

[٩-أ] وقال أيضاً في نظم حديث قدسي «لأبْتلينَّ وَلّبي كما ابتُليّ الذهب بالنار» هو:

لو وعـ ـد الله المحبيـ . ـن بالبلاء   كما يبتلي بالنار في سبكه الذهب

وقال أيضاً فيه:

بـ ـلاء الأوليـ . ـاء بغير شـ . ـك   بلاءُ النصـ ـر[٢] بالجمر الضروم

وقال أيضاً في حديث: «لأضربّن الولي المقتدي بالبلاء حتى أنقّيه من الدّرن» هو:

لأضربّـ ـن الولـ ـي المقتـ ـدي ببلا   ظهـ ـراً لبطنٍ وبطنا قـ ـام بالمحن
شـ ـهراً ودهـ ـراً دواماً سـ ـرمداً   حتـ ـى أنَقّيـ ـه صُفْراً مـ ـن الكدر

---

(١) الماوردي (أبو الحسن علي): كتاب أدب الدنيا والدين، ص٢٩٩.

(٢) كذا بالأصل والمعنى به لايستقيم، ولعل صوابها: الصفر.

وسيأتي في الخاتمة زيادة في الموعظة، وأسأل من الله تعالى العفو والعافية، والمعافاة الدائمة، في الدين والدنيا والآخرة.

تتمـ ـة غريبة، في الرد على مَن زعم أن هذا المؤلف غِيبة، والحال أنه لم يُرَدْ به لأحد نقيصَه، بل التسلية والموعظة الخصيصة، وذلك أن العلماء الأتقياء، الذين هم ورثة الأنبياء، نبّهونا في عدة مؤلفات، جعلها الله لمنْ بَصَّره بها منجيات، منهم الإمام المحاسبي وحجة الإسلام الغزالي وغيرهما من الفقهاء والعلماء الشرفاء فقال أولهما ما ملخصه(١): عن الحسن يعني البصري - رحمه الله -: [٩-ب] الغيبة على ثلاث وجوه كلها في كتاب الله تعالى. فسمّى الغيبة والإفك والبهتان. فالغيبة أن تقول في أخيك ما فيه، والإفك أن تقول فيه ما بلغك، والبهتان أن تقول فيه ما ليس فيه. ثم ذكر الإمام المحاسبي حديث الرجل الذي لا يفعل شيئاً إلاّ بما أُمر به فقال ﷺ: «لقد أكلتم لحماً. فأعادوا له قولهم فيه قال: كلما فصل أحدكم على أخيه بمنزله يعني أن يأتيه في دينه. قيل: فمم تكون الغيبة؟ قال: في البدن والعرض والفعل. والقول في الدين أمْثل مِن ذكرك إياه بالنقص في خلقه بغير عُذرٍ» ثم بيّنَها مفصلة وقال في جملتها آثاراً تدل على أنها غيبة. وجملة ذلك «إن كان في أخيك ما تقول فقد اغتبته» فهذا يأتي على كل معنى يَغضّ في البدن أو غيره.

ثم ذكر المحاسبي عدة أقوال في المعنى حتى الإيماء والإشارة والتعريض واستدلّ لها بأشياء لا بأس بها، مْنها قد كان ﷺ يقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا» والعلماء أيضاً مجتمعة على أن ذلك ليس بغيبة.

[١٠-أ] وعن إبراهيم النخعي قال: لا تكون غيبة حتى يُسمَي صاحبها. ثم قال المحاسبي بعدها: فهل تكون الغيبة إلاّ من الفائل. قال: قد تكون من القائل والمستمع إذا رضي وأصغى إليه وأظهر الرضى أو شاركه بالقول أو التحريض، إلى غير هذا من الأقوال في الرضى لسماعه والمداهنة في عدم إنكاره وتركك لأمْره ونهيه.

واختلف العلماء في استحلال صاحبها فقالت فرقة: ليس فيه استحلال ....(٢)

---

(١) رجعنا إلى كتاب الرعاية لحقوق الله لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي فلم نعثر على النصوص التي نقلها المؤلف في ما يلي. ولعلها نقول من كتب أخرى له.

(٢) في الورقة ١٠ أ من المخطوط أنقاص كثيرة في النص وذلك عائد إلى قطع وترميم فيها مما جعلنا نلجأ إلى وضع نقاط في أماكن الكلمات المنقوصة.

بينه وبين الله تعالى واحتجت بأنه .... قاله ولا أصاب من بدنه ما ينقصه .... فرفة أخرى هي مظلمة وكفارتها .... بأخيه الذي اغتابه.

وقالت فرقة .... الاستحلال منها، واحتجت بقول رسول الله ﷺ أنه قال: «من كانت لأخيه .... أو ماله فليُحلّلها منه قبل أن يأتي .... ولا درهم فيؤخذ من حسناته .... سيئات أخذ مِن سيئات صاحبه فتزيد على سيئاته .... وأورد المحاسبي عدة أحاديث وأمثال في .... في الغيبة بأحد عشر سبباً فثمانية .... الخاصّة وقد لخَّصتها [١٠-ب] بطريـ ـق الإنصاف، في مؤلفي النصرة والإسعاف، على المنتقدين لمؤلَّفي النكت الظراف، فليراجعها طالبها في أصلها، مع ذكر الموعظة فيها وما يحرم من فعلها، وذِكْر النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لبعضها.

منها أنه سأل عمرُ ابنَ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الخلافة فقال ابن عباس: أين أنت عن علي قال: كثير .... فقال: الزبير؟ قال: .... قال: طلحة؟ قال: نحوه .... قال: ذلك صاحب مغيب حِيَل قال: .... قال: كلِفٌ بأقربائه، قال: فعبد الرحمن .... قال ذاك رجل لين، أو قال رجل .... قال: فما أراد عمر عندها إلاّ أن يبين .... ليقدم الناس أفضلهم عندهم .... الخلافة.

وشهد أنّ النبي ﷺ..... وهو عنهم راضٍ، ففي ذلك .... لم يرد تنقصهم ولا عيبهم، وكيف ينقصهم ويعيبهم وهو يفضلهم على جميع الأمة ولا .... بالخلافة منهم ثم نقل الإمام .... كلام عدة .... الدلالة ....(١) [١١-أ] على الرجل وذكره وهو لا يُعرف الرجل إلاّ به كقولك الأعرج والأعمش، وكقول العلماء: عن أبي الزناد عن الأعرج وسليمان الأعمش وإن كان بعضهم قد كره ذلك ولم يقطع على غيره بالغيبة في ذلك، وكلما تركت ذلك فهو أفضل ما وجدتَ عنه مَنْدوحة فإذا لم يعرف إلا بذلك فلا بأس به، ولا يكون غيبة إلا أن يريد عيْبَه وتنقيصه وصفته بذلك فيكون غيبة إلى غير هذا من أقوال العلماء فيها.

ومنها قال قوم: الغِيبة لا تكون إلاّ في الدين ولا تكون في الخلقة والحسب، وقالوا: ذلك فعْلٌ لَهُ وإنما يغتابُه المغتاب لفعله في دينه ورُد نلك بالأحاديث. وقال قوم: لا تكون

---

(١) وردت في هذه الورقة أيضاً أنقاص كثيرة في النص بسبب ترميم قديم لها أضاع الكثير من الكلمات فوضعنا مكانها نقاطاً.

الغيبة في الدين، ولا تكون إلاّ في الخَلْق والُخلق والحسب، والغيبة في الخَلْق أعظم لأن مَن عَاب ما أعَاب الله وذم ما نقص الله فليس بِعاصٍ، قيل له ما به لم يرد بذلك أن يوافق الله في ذمه إياه وإنما أراد تنقصُه وإشفاء غيظه فيه، فإن أراد ذلك فإنه لم يعِب إلاّ ما عاب الله وليس بعاصٍ مَن ذمَّ ما ذمَّه الله.

واحتجوا بحديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن المرأة الكثيرة الصلاة والصوم ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها [١١-ب] قال: «هي في النار» وهذا القول خطأ عند جميع العلماء، لأن العلماء في أول الدهر من أصحاب النبي ﷺ والتابعين ومَن أدركنا لم تكن الغيبة عندهم في شيء أعظم من الغيبة في الدين لأن غيبة الدين أعظم الغُيوب. وكفى بذلك تكذيباً لمن قال هذا القول قول النبي ﷺ «إذا قلت في أخيك ما يكرهه، فقالوا: إن كان في أخي ما قلت. قال: إن كان في أخيك ما تقول فقد اغتْبتَّه، وكل مؤمن يكره أن يذكر في دينه أشد مما يذكر في بدنه، وما قيل في دينه فهو فيه باقي عمره» فإذا أخبر النبي ﷺ أن الغيبة ما يكره المسلم أن يُقال فيه مما هو فيه وأكره ما يُقال فيه ما ذُكر في دينه.

فمن زعم أن ذلك ليـ ـس بغيبة فقد ردّ ما قال النبي ﷺ وكفى بعموم النبي ﷺ قوله: «دماؤكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام» وذلك عام للدّين والدنيا، إلى غير هذا من الأحاديث الشريفة. فمن خص من ذلك شيئاً فقد عارضها. وأما من زعم أن النبي ﷺ سأل أصحابه عن المرأتين فأخبرهم بمنزلة المؤذية لِجيرانها عند الله ليتحفظوا [١٢-أ] ويحذروا، ولو كان ذلك يجوز أن تحل له به الغيبة لحلّت أيضاً في الأبدان لقوله في قوم سئل عنهم ﷺ وفي السؤال نقصٌ في أبدانهم لا يريد بذلك تنقصهم.

ثم ذكر المحاسبي حديث أبي رهم الغفاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما غزى مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك وجعل يسأله عن من تخلّف من بني غفار فقال ﷺ «ما فعل النفر الحمر الشطاط والنفر السود القصار الذين لهم نعم تمسكه» شرح الحديث. قال المحاسبي: لو كانت إجابتهم لرسول الله ﷺ وسؤالهم إياه عن المرأة يدل أن الغيبة في الدين ليست بمحرّمة لما قال للنفر ما تقدم. وكلّه عيب في الخلقة وليس ذلك منه في المرأة في سؤاله عن النفر بعينه ولكنه لعذر غير غيبة.

والسـ ـؤال منه ﷺ أوكد من عرضهم عليه المرأة المؤذية لجيرانها مع كثرة صلاتها وصيامها، وعرضهم عليه الأخرى القليلة الصلاة والصيام لا المؤذية لجيرانها ليعلموا

أيّهما أوْلى وأفضل، كثرة الطاعة في النوافل مع بعض الإثم [١٢-ب] أم قلة النوافل مع ترك الإثم. فالغيبة محرّمةً في الدين والدنيا في الرجل المسلم إلاّ ما جعل الله في كتابه أو سنة رسوله ﷺ. وإجماع العلماء بأنه لم يعْنِه في تحريمه الغيبة إلاّ بنقص. وإن كان ظاهره كالغيبة. والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب. انتهى ملخصاً من كلام الإمام المحاسبي رحمه الله تعالى. وكان أحدَ الزهاد وأجلّ الصوفية ببغداد ومات في سنة ثلاث وأربعين ومائتين [٢٤٣هـ ./٨٥٧ م] بالأعداد. وقد أشفى بقوله الغليل، وهدى كل أفَّاكٍ ضِلّيل. فليعلم ذلك، كل واقف على ما هنالك، سلك الله بنا وبه أحسن المسالك.

ثم قصدت بعده لبيان جواز الغيبة في الأحوال، ستة خصال، قالها الفقهاء والعلماء النبهاء، ونقلتُها من خط شيخ الإسلام، مفتي الأنام كمال الدين محمد بن أبي شريف القدسي الشافعي[١] - رحمه الله تعالى - وصورتها: ومن نظم كاتبه بيتان نظم فيهما المواضع الستة التي لا يكون القدح فيها غيبة كما ذكره الإمام النووي في الأذكار، وفي أوائل النكاح من الروضة، وهي: التظلم لمن له قدرة على الإنصاف كظلمني فلان بكذا، والاستعانة على تغيير المنكر كفلان مرتكب كذا [١٣-أ] والاستفتاء، كما طريقي في الخلاص من فلان فقد فعل كذا، وتحذير المسلمين كنصح المستشار في خاطب أو شريك أو برأيٍ معيبٍ ونحو ذلك، وذكر المجاهر بالفسق بما تجاهر به من فسقه، وتعريف مشهور بلقبٍ كالأعمش سليمان بن مهران، والأعرج عبد الرحمن بن هرمز. والبيتان هما:

القدح ليس بغيبة في ستة ... متظلم او معرف ومحذر
ومجاهر بالفسق ثمّت سائل ... ومن استعان على إزالة منكر

فعلم من هذه الخصال الستة بأن ذكري لذوي العاهات المذكورين ليس بغيبة، لأني لم أقصد لهم النقيصة، وإنما أردت تعريفهم والتسلّي بهم والموعظة الخصيصة. كيف وقد ذكرت نفسي في الصُّلع وجَدّي لأمي في العُرْج، وجماعة من مشائخي الأجلاء في العُمْي وغيرهم من العلماء والصحابة الأتقياء الذين هم كالنجوم، وكل من اقتدى بهم اهتدى للعلوم، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ونفعنا بهم.

---

(١) ابن أبي شريف توفي (٩٠٦هـ ./١٥٠٠م) كانت له علاقات علمية كبيرة بمكة، وأقام فيها كثيراً. انظر ترجمته: الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص١٦٧.

ولي قدوة بوصف أمير المؤمنين عمر لغالب الصحابة العشرة المبشرين بالجنة كما مرّ، وبمن قال في هذه المسألة أن الغيبة في الأبدان ليست بمحرمة، وبقوله ﷺ [١٣-ب] «ما فعل أولئك النفر الحمر الشطاط والنفر السود القصار يعني الغلاظ» وهذا كله عيب في الخلقة كما تقدم، والله تعالى أعلم.

ثم إني كتبتُ سؤالاً لعلماء القاهرة، أطلب منهم النصرة ودفع المقاهرة، في عام تسع وأربعين وتسعمائة [٩٤٩هـ ./١٥٤٢م] لمن أنكر عليّ فعل هذا التأليف. فكتب لي عليه جماعة من علماء المذاهب الأربعة بجواب لطيف. وصورة ذلك ليقتدي به كل مُهْتَدٍ سالك: ما قولكم - رضي الله عنكم - في رجل مِن طلبة العلم اطّلع على كتاب يقال له مفيد العلوم، لعالم الحنفية أبي بكر محمد بن موسى الخوارزمي المعلوم، ورأى فيه أبواباً في ذكر عِلل الأشراف، ذكر فيها جماعة من أكابر سلَف الأمة وخلَفها ممن اتصف بذلك كالأعرج والأقرع والأعمى وأشباهها. فلما رآه ألف كتاباً مفرداً في هذا المعنى معلّلا إقدامه على ذلك بما علل به صاحب الكتاب المذكور من قصد العِظة والاعتبار والتسلية. فهل القصد المذكور يبيح الإقدام على ذلك أم لا؟ أفْتُونا مأجورين أثابكم الله تعالى الجنة. [١٤-أ]

وكتب عليه أربعة أنفس منهم ونقلتُ من خطهم ما صورته فالأول: الحمد لله رب العالمين، اللّهم صلّ على محمد وآله وسلم. الإقدام على ذلك بالقصد المذكور ليس قبيحاً، وقد سبق إلى هذا ابن قتيبة وذكر أهل العاهات كالبُرْص والعُرْج والصُّمّ والجُذْع والحُول والزُّرق والفُقْم والكواسج والصُّلع والبُخْر والعُور والمكافيف. والله سبحانه وتعالى أعلم.

وكتبه مسلم المدعو أبو الفيض بن علي السلمي الحنفي، عفا الله عنه.

وكتابة الثاني: بعد الحمد لله، اللهم ألهمني الصواب، جوابي كذلك، والله أعلم بالصواب. كتبه أحمد بن النجار الحنبلي حامد الله ومصلياً ومسلماً.

وكتابة الثالث: الحمد لله رب العالمين، جوابي كذلك. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. وكتبه الفقير ناصر اللقاني المالكي حامداً مصلياً ومسلماً.

وكتابة الرابع: الحمد لله جوابي كذلك والله أعلم، وكتبه أحمد البلقيني الشافعي لطف الله به والمسلمين آمين. انتهى ما كتبه علماء القاهرة من المذاهب الأربعة ولله الحمد والمنة.

ثم وصلني في عام تاريخه رسالة من الشام، كتبها لي العلامة الهمام، محدث دمشق ومؤرخها ومحبي علوم الأثر فيها [١٤-ب] الشمسي أبو عبد الله محمد بن طولون الصالحي الحنفي - نفع الله به - وعاملني وإياه بلطفه الخفي، ذكر فيه: وأما ما ذكرتموه من أمر مؤلَّفكم النكت الظراف فقد قال الإمام شمس الدين محمد بن مفلح الحنبلي في كتابه الآداب الشرعية: ذكر القفطي عن قوم أن الغيبة إنما تكون في الدين لا في الخلقة والحسب إلاّ إذا قال ذلك على وجه العَيْب. وعلى ذلك مشى الإمام أبو محمد بن قتيبة في كتابه المعارف فإنه ذكر فيه الفُلج، والعرج والبرصُ ونحو ذلك.

ولا شك أن المصنفين ألّفوا في هذا المعنى كالصلاح الصفدي في كتابه الشعور، بأخبار العوُر ونَكتْ الهَميَان، في نُكت العميان وأنهم لم يقصدوا العيب وإنما قصدوا العلم والإحاطة لمن اتفق له ذلك من الأعيان، وإفادته لمن بعده الاعتبار والاتعاظ، كما نقله العلماء الأيقاظ. انتهى.

وقد وصل مشرّفكم وأنا أكتب في تعليقي «تعجيل البشارة لمن صبر، على ذهاب البصر» فكان مانعاً لي من ذكر أحد من الأحياء فيه وهو في عشر كراريس. انتهى بحروفه ولله الحمد.

وأما ما ارتكبه المنكرون عليّ من البهتان، [١٥-أ] والإفك والعدوان، وقصدوا به الأذى والنقيصة، فليس لهم من عقاب الله محيصة، فإنهم استباحوا مني ومن أقاربي الأعراض، ونسبوا إليّ جملة من النقيصة والأمراض، التي عافانا الله منهـا وبرأنا من قائلها وصارت لنا حسنات ولهم سيئات يُطالَبون بها يوم الحسـاب، كما ورد في الحديث الشريف بالقول الصواب.

وقد نظم بعض الأحباب والأدباء الأنجاب قوله ﷺ «من قفّى أخاه بشيء يسيئه يُريدَ سبته به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال» وهو:

مـن كـان قفّى بشـيء مسلماً عبثاً	بـه يريـد لـه التنقيص في البشر
يوم المعاد على جسـر السعير لـه	حبس وناهيـك ذاك الخوف من كدر
حتَّـاه يخرج ممـا قال فيـه ولا	خـروج بالإفك والبهتان من صَـقر

واتفق لي بعد الإنكار عليّ مِن بعض من ذكرته في الصلعان، وهم في الحقيقة قرعان من أهل البلاد وفُجَّار العصر أنني تركتهم إهمالاً لهم لكونهم ليس بهم فخر خصوصاً وقد لحقتهم حمية الجاهلية بأخذ الثأر في النكير، وما سكن عنهم الزفير، [١٥-ب] وأُطْفئ السعير إلا ببلّ نسخة من هذا التأليف بالماء، وعند الله يجتمع الخصماء. وكان مما قدره الله تعالى من الإيقاظ، الذي يحصل به الاتعاظ، أنَّ بعد عشرين يوماً مِن بَلّ المؤلَّف المذكور، حصل لمكة سيل عظيم مشهور، دخل إلى الكعبة الشريفة والمسجد الحرام، وبلّ فيه المصاحف والربعات العظام، فقال في ذلك بعض الأدباء الحسَن المسالك، منبهاً للموعظة هنالك، بأبيات مطولة ومختصرة، فأذكر منها هنا الأخيرة وهي:

مَحَا مؤلَّف جار الله أفئدة[1] ... في شهر شعبان يوم الخمس منه فقط

فجاءها السيل في خمس ويعقبها ... عشرون من عام محط والبناء سقط

فهذه نصرة عمت وتذكرة ... فيها اعتبار لمن وَدّى بها ولَغط

فحينئذ دلني ذلك على كثرة الجهل والبهتان، ونقصان أهل الزمان، وعُدم كثير من العلماء يرجعون إليه ويعولون في أمورهم عليه، فأستعين عليهم بالله وأَعتصم بحبل الله، وأقول حسبي الله وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وعليه أنيب، وأوكلّ أمري إلى الله القريب المجيب، وأنشد قول نبي الله يعقوب [١٦-أ] في أول شعر قاله في المطلوب:

فصبر جميل بالذي جئتم به ... وحسبي إلهي في المهمات كافياً

وقول بعض من هو بذم الدنيا بصير، في الطلب من الله يوم المعاد نصير:

ولا خير في الدنيا إذا لم يكن بها ... من الله في يوم المعاد نصير

ثم بشّرتُ نفسي العاصية، بقول الأديب أبي العتاهية:

هي الأيام والعبرُ ... وأمر الله يُنتظر

أتيأس إن ترى فرحاً ... فأين الله والعبر

ومن هنا أشرع الآن في ما قصدتُ من الموعظة والبيان. وبالله المستعان.

---

(١) بالحاشية اليمنى تعليق نصه: (محيي حديث رسول الله أفئدة).

الباب الأول:

ذكر ذوي العاهات مجملاً، وبيان الأشراف منهم مفصّلاً، كما نقله الإمام أوحد فقهاء بغداد الأعلام، المجدد الدين لهذه الأمة على رأس المائة الرابعة أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي الحنفي - رحمه الله تعالى - في كتابه مفيد العلوم، ومبيد الهموم، في النوع الثالث والعشرين من آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى زمن الإسلام. فقال[1]: الباب الحادي عشر في العاهات يعني بالأنبياء والصحابة والأشراف ذوي العنايات.

منهم شعيب وإسحاق عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كانا أعميين [١٦-ب] والعباس[2] بن عبد المطلب وابن أخيه عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب وعبد الملك بن مروان[3] والقاسم بن محمد بن أبي بكر والبراء بن عازب وجابر بن عبد الله وحسان بن ثابت وسعد بن أبي وقاص وغَدَانَة الأوسي وأبو عبد الرحمن السلمي ودريد بن الصمّة الجشمي شَهِدَ حنيْن وهو يومئذ أعمى.

ثم قال الشيخ أبو بكر الخوارزمي المذكور في الباب الثاني عشر في عاهات الأشراف: العُور منهم أنوشروان وأمية بن عبد شمس والمغيرة بن شعبة، ذهبتْ عينه يوم القادسية، والأشتر النخعي والأشعث بن قيس ذهبت عينه يوم اليرموك، وأبو سفيان بن حرب ذهبت عينه يوم الطائف، وعتبة بن أبي سفيان ذهبت عينه يوم الجمَل، وجَرير بن عبد الله البجلي ذهبت عينه بهمذان، وعدي بن حاتم الطائي ذهبت عينه يوم الجمل، والمختار بن أبي عبيد ضربه عبد الله بن زياد في وجهه بالسياط، وطلحة الطلحات والمهلب بن أبي صفرة[4] [١٧-أ] ذهبت عيناهما بسمرقند، وعمرو بن معدي كرب ذهبت عينه في اليرموك، وأحنف بن قيس ذهبت عينه في الجدري وعطاء بن أبي رباح، كان مُتّكئاً على وسادة فقال لتلميذه: ناولني شيئاً كان بين يديه، فقال: هو بين يديك، فقال: يا بنيّ، وما تعجب من هذا، فوالله الذي لا إله غيره لقد ذهبتْ عيني منذ

(١) الخوارزمي: مفيد العلوم، ومبيد الهموم، ص٤٧٧.

(٢) كذا بالأصل وفي طبعة مفيد العلوم للخوارزمي عبد الله بن العباس.

(٣) النقل من كتاب مفيد العلوم للخوارزمي، ص٤٧٧.

(٤) تكرر هذا الاسم في المخطوط.

أربعين سنة ولم يعلم بها أحد إلى اليوم. وكان الخليل وأبو مقتل وأبو أحمر النحاة كلهم عُوراً. وكذا طاهر بن الحسين وأنشد فيه:

ياذا اليمينيـ ـن وعين واحدة نقصـ ـان عين ويميـ ـن زائدة

انتهى كلام الخوارزمي رحمه الله تعالى[1].

يقول مؤلفه محمد المدعو جار الله - وفّقه الله، وألهمه هداه:

إن الكلام في الأنبياء من العُمْي اختلف فيه العلماء فقال العلامة المفسّر جار الله الزمخشري في الكشاف[2] عند قوله تعالى ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ﴾[3] أي نبي الله يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إذا كثُر الاستعبار محقتْ العَبْرة سواد العين وقلبتْه إلى بياض كدر قيل: قد عمي بصره، وقيل: كان يدرك إدراكاً ضعيفاً، قُرِئَ من الحزن، وكان الحزن سببه البكاء الذي حدث منه البياض فكأنه حدث من الحزن [١٧-ب] قيل: ما جفّتْ عيْنا يعقوب من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاماً، وما على وجه الأرض أكرم عند الله من يعقوب.

وعن رسول الله ﷺ «أنه سأل جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ما بلغ من وجْد يعقوب على يوسف؟ قال: وجْد سبعين ثكلى، قال: فما كان له من الأجر؟ قال: أجـ ـر مائة شهيد، ومـ ـا ساءَ ظنّه بالله تعالى ساعةً قط» انتهى كلام الزمخشري رحمة الله عليه.

ووجدتُ في كتاب المواهب اللدنية، بالمنح المحمدية لشيخنا القدوة الأمجد شهاب الدين أحمد القسطلاني في خصائص النبي محمد العدناني: إنه لا يجوز عليه الجنون ولا الإغماء الطويل الزمن، وكذلك الأنبياء[4].

قال الإمام تقي الدين السبكي: ولا يجوز عليهم العمى لأنه نقصٌ، ولم يعْمَ نبي قط. وما ذكر عن شعيب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أنه كان ضريراً فلم يثبتْ. وأما يعقوب فحصل له غشاوة وزالت. انتهى. وقال الإمام فخر الدين الرازي[5] المفسّر في قوله تعالى ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ﴾[6]

---

(١) النقل من كتاب مفيد العلوم للخوارزمي، ص٤٧٧-٤٧٨.
(٢) الزمخشري: الكشاف، ٢/٤٩٧.
(٣) القرآن: سورة يوسف، الآية: ٨٤.
(٤) النقل من كتاب المواهب اللدنية للقسطلاني، ٢/٦٨١.
(٥) النقل عن القسطلاني في المواهب اللدنية، ٢/٦٨٢.
(٦) القرآن: سورة يوسف، آية: ٨٤.

لما قال: ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾[١] غلبَهُ البكاء، وعند غَلَبةِ البكاء يَكثُر الماء في العين فتصير العين كأنها أبيضّتْ من بياضِ ذلك الماء.

وقوله ﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ ﴾ [١٨-أ] كأنه من غلبة البكاء. والدليل على صحة هذا القول أن تأثير الحزن في غَلَبة البكاء لا في حصول العمى. فلما حملنا الابيضاض على غلبة البكاء كان هذا التعليل حسنا، ولو حملناه على العمى لم يحسنْ هذا التعليل فكان ما ذكرناه أولى.

ثم قال: واختلفوا فقال بعضهم: إنه كان قد عمي بالكلية فالله تعالى جعله بصيراً في هذا الوقت. وقال آخرون: بل كان قد ضعُفَ بصره من كثرة البكاء والأحزان بحيث صار يُدرك إدراكاً ضعيفاً فلمّا ألْقَوْا القميص على وجْهه وبُشّر بحياة يوسف عَظُم فرحه وانشرح صدره وزالت أحزانه، فعند ذلك قَوِي بصره وزال النقصان عنه. انتهى كلام شيخنا القسطلاني - رحمة الله عليه -.

ثم رأيتُ الإمام الثعالبي المفسر ذكر في مؤلفه العرائس أن نبي الله شعيب كان أعمى كما أخبر الله عز وجل عن قومه ﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾[٢] أي ضريراً.

ونقل العلامة جار الله الزمخشري في تفسيره الكشاف وعند قوله تعالى لخطاب قوم شعيب ﴿ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾[٣] كيف لا يفهم كلامه [١٨-ب] وهو خطيب الأنبياء. وقيل كان ألْثغ[٤]. وقولهم ﴿ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ أي لا قوة لك ولا عزّ في ما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا إن أردنا لك مكروهاً، وعن الحسن: ضعيفاً مهيناً، وقيل: ضعيفاً أعمى. فحمير تسمي المكفوف ضعيفاً كما يسمى ضريراً، وليس بسديد لأن «فينا» يأباه. ألا ترى أنه لو قيل: إنا لنراك فينا أعمى لم يكن كلاما لأن الأعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قلّلوا قومه حيث جعلوهم رهطاً. انتهى.

يقول مؤلفه - غفر الله له وسامحه من الآثام -: ومن هذه الأقوال يُفهم تضعيف العمى في ما يقال في حق شعيب ويعقوب عليهما السلام.

---

(١) القرآن: نفس الآية السابقة.

(٢) القرآن: سورة هود، آية: ٩١.

(٣) القرآن: نفس الآية السابقة.

(٤) الألثغ: الذي يقع في نطقه تحويل الحروف فينطق بحرف عوض آخر كالغين عوض الراء.

وأما نبي الله إسحاق فلم أرَ مَن تعرّض لذكره في العميان غير الإمام أبي بكر الخوارزمي من علماء الزمان.

وأما قوله: كان ألثغ فقد وقع لكثير من العلماء والقضاة نقلها. وضمنها في النظم أوْحَد فقهاء الشافعية العلاّمة أبو الخير محمود بن الوردي هنالك فقال:

الأَلْثَغ الطاعن تولّى القضا فيا له من أَلْثَغٍ طاعن
إن سبّح الباري حكى سيَّه وقال: سبحانك يا باغي

فنعوذ بالله من تغيير الأحوال، وما يؤدي إلى الضلال[1].

وأما سوى من ذكره الخوارزمي من الصحابة وله شهرة في الأهل والقرابة فعبد الله أبو قحافة وَالِد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ذكر ابن إسحاق في السيرة النبوية قال: حدثني علي بن عباد عن أبيه عباد ابن عبد الله بن الزبير عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لما كان عام الفتح نزل رسول الله ﷺ ذا طوى [١٩-أ] قال أبو قحافة لبنت له كانت من أصغر ولده: أيْ بُنية أشْرِفي بي على أبي قبيْس - وقد كفّ بصره - فأشرفتْ به عليه حتى ترآى لجيش النبي ﷺ وأخبرته بالخيل وانتشارها فقال لها: أسرعي بي إلى بيتي فخرجت به سريعاً. حتى إذا ذهبت به إلى الأبطح لقيها الخيل واختطف إنسان مِن خلْفها طوْقَها وهو من ورِقٍ. فلما دخل رسول الله ﷺ خرج أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى جاء بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هلا تركتَ الشيخ في بيته حتى أجيئه؟ قال: يمشي هو إليْك يا رسول الله، فأجلسه بين يديْه ثم مسح ﷺ بيده وقال: أسلمْ تسلم، فأسلم. ثم قام أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأخذ بيد أخته وأنشد الله والإسلام طوقها مرتين، فلم يُجبه أحدٌ. فقال: يا أختاه احتسبي طوْقَك عند الله فوالله إن الأمانة في الناس لقليل. انتهى ملخصا[2].

ولما توجه النبي ﷺ بعد فتح مكة للطائف وحاصر أهلها أياماً، اتفق في يوم رحيله منها [١٩-ب] فُقئتْ عين أبي سفيان صخر بن حرب الأموي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فذكر ابن سعد أن النبي ﷺ قال له وهي في يده: أيما أحبّ إليك عين في الجنة أو أدع الله تعالى

---

(١) ورد البيتان والجملتان السابقتان له بالحاشيتين العليا واليسرى من المخطوط.

(٢) ابن هشام: السيرة، ٤ / ٤٦-٤٨. ولم يرد النص في ما طُبِع من سيرة ابن إسحاق.

أن يردها عليّ لك، قال: بل عين في الجنة، ورمى بها. ثم شهد اليرموك ففقئت عينه الأخرى يومئذ.

ذكره الحافظ زين الدين العراقي في شرح التهذيب ثم نقله شيخنا الشهاب القسطلاني في مواهبه.

ووجدت شيخنا الحافظ شمس الدين السخاوي ذكر جملة من ذلك في مؤلفه عمدة الناس في مناقب العباس ونقلته عنه مطوّلاً في مؤلفي: تحفة اللطائف في فضائل الحِبْر ابن عباس ووجّ والطائف، ولخّصتهُ هنا هو:

ما وقع للحِبْر ابن عباس ووالده من العلماء وصورته.

أخرج أبو نعيم عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: انتهيتُ إلى النبي ﷺ وعنده جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال له جبريل: إنه كائن حبر هذه الأمة فاستوصِ به خيراً. وقال ابن سعد: حدثنا أبو بكر عن عامر - وهو الشعبي - قال: دخل العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على النبي ﷺ [٢٠-أ] فقال له ابنه عبد الله: لقد رأيتُ عنده رجلاً. فقال: ذاك هو جبريل عليه السلام. وروى ابن المظفر في الفضائل عن زينب ابنة سليمان بن علي قالت: حدثني أبي عن أبيه عن جده ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قال: «بعث النبي ﷺ إلى العباس فقام عبد الله وراءه وعند النبي ﷺ رجل، فالتفت النبي ﷺ إلى عبد الله فقال له: متي جئت يا صبي؟ قال: منذ ساعة، قال: فهل رأيت عندي أحداً؟ قال: نعم رأيتُ رجلاً، قال: ذاك جبريل، ولم يره خلْقٌ إلاّ عمي إلاَّ أن يكون نبياً. ولكن أسأل ربي أن يجعل ذلك في آخر عمرك، ثم قال: اللّهم علّمه التأويل وفقّهه في الدين واجعله من أهل الإيمان».

ثم تكلم شيخنا السخاوي، على رجال هذا الحديث وما هو عليه حاوي، فقال سليمان بن علي: قال ابن القطان: هو شريف في قومه ولا يُعرف حاله في الحديث. وذكره ابن حبان في الثقات. ثم ساق شيخنا بعد هذا الكلام للحديث طريقاً أخرى رواها الطبراني في الأوسط من حديث الداودي عن ثور بن يزيد [٢٠-ب] عن موسى بن قيس عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال: بعث العباس بعبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلى رسول الله ﷺ في حاجة فوجد معه رجلاً فرجع ولم يكلّمه، فقال: رأيتَه؟ قال: نعم، قال: ذاك

جبريل، أما إنه لن تموت حتى يذهب بصرك وتؤتَى علماً. قال الطبراني: لم يرْوِه عن موسى إلاّ ثور، تفرّد به الداودي.

وقال شيخنا السخاوي عقِبه: وله طريق أخرى لكن بدون الشاهد منه، فروى ابن منيع في مسنده من حديث حماد بن سلمة عن عمارة بن أبي عمار عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنت مع أبي عند النبي ﷺ وعنده رجل يناجيه وكان النبي ﷺ كالمعرض عنه، فسألني أبي بعد ذلك يعني عن إعراضه فقلت: يا أبت كان عنده رجل يناجيه، فقال: ثم رجعنا إلى النبي ﷺ فقال أبي: يا رسول الله، قلت لعبد الله كذا وكذا فأخبرني أنه كان عندك رجل يناجيك فهل كان عندك أحد؟ فقال رسول الله ﷺ: وهل رأيته يا عبد الله؟ قال: نعم، قال: ذاك جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو الذي شغلني عنك. يعني كالمعتذر له، ثم قال...[1]

[٢١-أ] ..... كذلك حيّنا لا يسمع الأذان في الجمعة إلاّ فعل ذلك فقلت له: يا أبت استغفارك لأبي أُمامة كلّما سمعت أذان الجمعة، ما هو؟ قال يا بني هو أول مَن جمع بالمدينة، قال قلت له: كم كنتم يومئذ؟ قال أربعون رجلاً. انتهى من المواهب اللدنية لشيخنا القسطلاني، رحمه الله.

وأما حديث عتبان بن مالك الأنصاري الخزرجي السالمي فقال الحافظ عز الدين ابن الأثير الشيباني في مؤلفه أسد الغابة، في أسماء الصحابة، عن إبراهيم بن سعد قال: سمعت الزهري يحدث عن محمود بن الربيع عن عتبان بن مالك السالمي قال: كنتُ أَؤُمّ قومي بني سالم وكـ ـان إذا جأت السيول شق عليّ أن أجتاز وادياً بيني وبين المسجد فأتيتُ النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إني يشقّ عليّ أن أجتازه، فإن رأيت تأتيني وتُصلّي في بيتي مكاناً أتّخذه مصلًّى؟ قال: أفعل. فجاءني الغد فأجلستُه على خزيرة[2]، فلما دخل ﷺ لم يجلس حتى قال: أين تحب أن أصلي في بيتك؟ فأشرتُ إلى الموضع الذي أصلي فيه فصلّى فيه ركعتين، ثم ذكر الحديث.

وقال ابن الأثير عقبة: وإنما طلب ذلك لأنه كان قد عَمِي، وقد كان في بصره ضعف. انتهى[3].

---

(١) سقطت ورقة أو أكثر من المخطوط لأن النص قد انقطع في نهاية هذه الورقة.
(٢) الخزيرة: طعام من لحم يُقطع قطعًا صغيرة ثم يُطبخ في حساء.
(٣) ابن الأثير (عز الدين): أسد الغابة ٣: ٣٥٩.

[٢١-ب] وأما مؤذن رسول الله ﷺ المعروف بابن أم مكتوم فاختلف في اسمه. فقال أهل المدينة عبد الله، وقال أهل العراق عمر، وهو الأكثر. واتفقوا على نسبته فقالوا: ابن قيس بن زائدة القرشي العامري الأعمى المؤذن المشهور، قدم المدينة بعد بدْرٍ بيسير، واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزواته، وكذا في حجة الوداع، وشهد القادسية ومعه اللواء، وقُتل بها شهيداً.

وقال الواقدي: رجع منها إلى المدينة فمات بها. هكذا ذكره العز بن الأثير في أسد الغابة، في أسماء الصحابة(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وروينا في صحيح البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: «إن بلالاً يؤذن بليلٍ وكلوا واشربوا حتى يؤّذن ابن أم مكتوم». وفي رواية «لا يؤذن حتى يقال له أصبحت» لكونه أعمى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري ذكره ابن حبّان في الثقات، والحافظ ابن حجر في الإصابة وقالا: كان من المؤلّفَة قلوبهم [٢٢-أ] له شرف، وقعد وكساه النبي ﷺ حلة فباعها بأربعين أوقية، وقال له ﷺ: «أرَضِيَ مخرمة؟» يعني بها. وعمي في خلافة عثمان، ومات بالمدينة زمن معاوية سنة أربع وخمسين [٥٤هـ ./٦٧٤م]، وله من العمر مائة وخمس عشرة سنة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يقول مؤلفه محمد المدعو جار الله، وفقه الله وعافاه وشفاه: وقد حدث العمى في البصـر لجماعة من العلماء أهل النظر من المتقدمين والمتأخرين، يحصل التكلّف في جمعهم بيقين، وإنما القصد الاعتبار بالمذكورين من العلماء والصالحين. وأقتصر منهم الآن، على بعض الأعيان، من مشايخ الزمان. فمن المشهور من العلماء وكان أعمى ثم أبصر ونمى، الحافظ الحجة شيخ السنة، أول مَن جمع الصحيح وسَنَّه، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - رحمه الله تعالى - قال فيه العلامة المحقق شمس الدين محمد الكرماني، في خطبة كتابه الكواكب الدراري، في شرح صحيح البخاري: كان أبوه من خيار الناس، وكانت أمه مُجابة الدعوة، وكان البخاري قد ذهب بصره وهو صغير فرأت أمه [٢٢-ب] في المنام نبي الله إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال: يا هذه قد ردّ الله على ابنك بصره لكثرة دعائك وبكائك فأصبح بصيراً. انتهى.

---

(١) نفس المصدر ٣: ٣٤٥.

وأما غيره من المعتبرين، ويقال خُلِقَ أكْمَهًا بيقين، فالحافظ الكبير، الجامع لسنن البشير النذير، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي - رحمه الله -. قال فيه الحافظ الذهبي في طبقات الحفاظ: قال الحاكم أبو عبد الله إنه بكى حتى عمي وبقي ضريراً سنين(١). وقال جدّ والدي الحافظ تقي الدين محمد بن فهد المكي في مؤلفه نهاية التقريب: قال يوسف بن أحمد البغدادي الحافظ: أضرَّ أبو عيسى الترمذي آخر عمره. قلت: وهذا يرد على من زعم أنه خُلق أكمهاً. ثم نقل جدّي كلام الحاكم الماضي مفصلاً. وأنه بكى حتى حصل له العمى.

وكان كذلك شيخ القراء، وإمام الإقراء، شرف الدين أبو القاسم بن فِيرُّهْ الشاطبي الضرير، قال الذهبي في طبقات القراء: كان يجلس إليه من لا يعرفه فلا يرتاب في أنه يُبصر لأنه مِن ذكائه لا يظهر منه ما يظهر من الأعمى في حركاته. ولذلك حُكِي عنه لطْفٌ في الذكاء والفطنة(٢) [٢٣-أ] وكذلك العلامة اللغوي أبو العلاء المعري واسمه أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المشهور باللطائف، والنوادر والخفائف. قال شيخنا الحافظ جلال الدين السيوطي في طبقات النحاة إنه جُدر في السنة الثالثة من عمره فعمي منه، وكان يقول: لا أعرف من الألوان إلا الأحمر لأنّي لبُسِّتُ في الجدري ثوباً مصبوغاً بالعصفر، ولا أعقل غيره.

وقال شيخنا السيوطي أيضاً في طبقات النحاة: الإمام الحافظ أبا زيد عبد الرحمن بن عبد الله السُهيلي المشهور. وقال: كفّ بصره وهو ابن سبع عشرة سنة، ودخل مراكش وحظي بها ومات بغرناطة في سنة إحدى وثمانين وخمسمائة [٥٨١هـ /١١٨٥م] وهو ناظم الأبيات المشهورة في التوسل التي أولها:

يا من يَرى ما في الضمير ويسـ ـمع   أنـ ـت المُعَـ ـدٌّ لكـ ـل مـ ـا يتوُقع

وقال فيها الإمام النووي: ما قرأها أحد ودعا الله عقبها بشيء إلا استُجِبتَ له(٣).

وذكر شيخنا السيوطي أيضاً في طبقات النحاة: العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن جابر الأندلسي الهوَّاري [٢٣-ب] المالكـي الأعمى النحوي، وأحمد بن يوسف

---

(١) الذهبي: تذكرة الحُفّاظ ٢: ٦٣٤.

(٢) رجعنا إلى كتاب الذهبي: معرفة القرّاء الكبار، على الطبقات والأعصار، فوجدنا فيه ترجمة ابن فيره في ج ٢ ص ٥٧٣- ٥٧٥ ولم نجد النص الوارد أعلاه.

(٣) السيوطي: بغية الوعاة، في طبقات اللغويين والنحاة ٢: ٨١ - ٨٢.

الرعيني وقال: هاذان هما المشهوران بالأعمى والبصير. وكان ابن جابر يؤلف وينظم والرعيني يكتب ولا زالا هكذا على طول عمرهما حتى مات أولهما في سنة ثمانين وسبعمائة [٧٨٠هـ ./١٣٧٨م] ومات ثانيهما قبله بسنة. واشتهر لهما شرح الألفية النحوية لابن مالك، رحمة الله عليهم.

وذكر شيخنا الحافظ شمس الدين السخاوي في تاريخه الضوء اللامع، لأهل القرن التاسع، جماعة من علماء وقته منهم شيخ المالكية بلا مدافع أبو الحسن علي بن عبد الله السنهوري الأزهري الضرير(١)، وغيره. وقال: صاحبنا المحدث المفيد د شمس الدين محمد د الداودي المالكي أنه لازمَهُ في مطالعة دروسه، وبعد موته لازم في الفقه تلميذه الشيخ شمس الدين محمد بن عيسى الدواخلي الضرير. وأخذ العربية عن الشيخ ناصر الدين محمد اللقاني الضرير وغيرهم من العلماء الماضين.

ومن المتأخرين مَن خُلق أعمى أو طرأ له العمى وأدركته في هذا الزمان من الأكابر الأعيان [٢٤-أ] منهم خليفة الزمان عريق الأبوين عباسي الجدَّيْن مَن جُبِلت على محبته القلوب، المستمسك بالله أبو الصبر يعقوب، ابن المتوكل على الله العِزي عبد العزيز الهاشمي العباسي المنفرد بلقبه والعمى في خلفاء بني العباس، كما أشار لذلك في نظمه لذيل الخلفاء ولده المتوكل على الله وقاه الله البأس، فقال:

ولـ ـم يكـ ـن مـ ـن أمـ ـيـ ـر غيـ ـر أربعة	من هاشـ ـميـ ـين جاؤوا ما لهـ ـم نظـ ـرا
أعنـ ـ ـي الإمـ ـام عليـ ـ ـاً وابنـ ـه وكذا	جاء الأمين وقـ ـل متمسـ ـكـ ـاً حضـ ـرا
ولم يلقـ ـ ـب بـ ـه مـ ـن قبلـ ـ ـه أحـ ـدٌ	مـ ـن الخلائف هـ ـذا قـ ـط مـ ـا شـ ـهرا
ولـ ـم يكـ ـن خلعـ ـ ـه مـ ـن أجل منقصةٍ	في دينه ثـ ـم دنيـ ـ ـاه وليـ ـس جـ ـرى
سـ ـببـ ـه ذاك ولكـ ـن أمـ ـ ـر خالصـ ـاً	فمـ ـذ حلّ في عينه ما أذهـ ـب البصرا(٢)

[ومن أجلاء المشائخ أهل الإسناد والعلم الراسخ منهم شيخ شيوخنا الحافظ الحجة، أول قضاة المالكية بمكة عين مؤرخيها السيد الشريف تقي الدين أبو الطيب محمد بن

---

(١) السخاوي: الضوء اللامع ٥: ٢٤٩ .

(٢) كذا ورد البيت في الأصل مضطرب الأسلوب. وبعد هذا البيت كتبت حواش طويلة بغير خط المؤلف ولكن في نصها ما يدل على أنها من تأليفه إذ يذكر فيها أنه ينقل عن كتاب جده النجم بن فهد الدر الكمين. وهذه الحواشي كتبت في طرر الورقتين ٢٣ب و ٢٤أ. وقد أوردناها داخل النص ووضعناها بين عاقفتين.

أحمد الحسني الفاسي - رحمه الله تعالى - قال جدي الحافظ نجم الدين عمر بن فهد الهاشمي المكي في ترجمته من تاريخ الدر الكمين، بذيل العقد الثمين له[1]: إنه صُرِف عن القضاء بمكة في أواخر سنة ثمان وعشرين وثمانمائة [٨٢٨هـ ./١٤٢٥م] بما ذُكر عنه من العمى - وكان هو في الأصل أعشى ثم ضعف بصره جداً - بالقاضي كمال الدين أبي البركات محمد بن محمد زين الدين القسطلاني. قدم القاهرة في أوائل سنة عشرين .... فاستفتى فضلاء المالكية فأفتوه بما يقتضيه مذهبهم أن العمى لا يقدح إذ .... على القاضي التأهّل للقضاء، ومنهم من أفتى بأن لا يضرّ تولية الأعمى ابتداءً. واستنابه القاضي شمس الدين البساطي فحكم بالمدرسة الصالحية في القاهرة. ثُم أنْهِيَ أمره إلى السلطان ووُصِف بما يستحقه من الثناء فأعيد إلى منصبه ثم توجّه إلى مكة حتى .... عليه خصمه فعُزل به مرة ثانية في أوائل سنة ثلاثين فأبى أن يسعى له محبُّوه بالعود. واستمرّ معزولاً إلى أن مات في ثالث شوال سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة [٨٣٢هـ ./١٤٢٩م] بمكة، ودفن بالمعلاه - رحمه الله وإيانا -.

ثم عُزل خصمه بعده مراراً بتلميذه الذي حصل له العمى أيضاً في آخر عمره وهو العلامة الحجة شيخ النحاة محيي الدين عبد القادر بن أبي القاسم بن أبي العباس أحمد .... المكي. فقال أيضاً جدي في ترجمته من مؤلفه الدر الكمين: إنه ولي القضاء مراراً منها بعد وفاة الكمال ابن الزين في سنة أربع وستين وثمانمائة [٨٦٤هـ ./١٤٦٠م] وفي هذه السنة قلّ نظره، ثم بعد ذلك بمدة يسيرة فقد نظره فصبر واحتسب.

ثم عُزل في صفر سنه ثمان وستين [٨٦٨هـ . / ١٤٦٣م] لما ذكر عنه من العمى بالقاضي نور الدين علي ابن القاضي أبي اليُمن النويري وترك المباشرة من ربيع الأول وجزع لذلك جزعاً شديداً ثم قدح عينيه في شعبان من السنة فأبْصرَ بأحداهما ثم أعيد إلى وظيفة القضاء في شوال من السنة وباشر من أول ذي الحجة. ثم عُزل به مرة أخرى في شوال سنة خمس وسبعين [٨٧٥هـ ./١٤٧٠م]. ثم أعيد في شوال سنة ثمانٍ وسبعين [٨٧٨هـ ./١٤٧٣م] واستمرّ إلى أن انفصل بالوفاة - رحمه الله تعالى - في ظهر يوم الخميس مستهلّ شعبان سنة ثمانين وثمانمائة [٨٨٠هـ ./١٤٧٥م] بمكة المشرفة.

---

(١) ابن فهد (النجم): الدر الكمين ١: ٣ .

وخلفه حفيده ابن ولده شيخنا قاضي القاضي الجلالي أبي السعادات محمد بن أحمد المتوفى في حياة والده، فطرح الله البركة في عقبه. وقد أشار لقصة وفاته وعمى .... والده وعزله من القضاء .... في سنة واحدة شيخنا الحافظ الحجة جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي - رحمه الله تعالى - في مؤلفه المنجم في المعجم فقال في ترجمته: إنه ولي قضاء المالكية بمكة ثم أضرّ .... فبلغني أنه كتب إلى صديق له رسالة الدعاء له فكتب إليه يُرجع كل ذلك إلى ما كان .....[1] فظهر بزوجة ولده حملٌ بعد وفاته، وكان المكتوب إليه من أرباب الأحوال باليمن يقول له ذهب ولدي وبصري ونفسي، فولدت ولداً ذكراً وقدح عينه فأبصر وأُعيدَ إلى منصب القضاء، فكان ذلك من لطف الله به في القضاء.

وقال جدي أيضاً في الدر الكمين في ترجمة الشيخ العلاّمة الأديب شاعر زمانه قطب الدين أبو الخير محمد بن عبد القوي البجائي الأصل: إنه أضرّ في آخر عمره وجزع في أول أمره جزعاً كثيراً ثم صبر واحتسب[2]، ونال من الأجر ما طلب].

ومن أجلاء المشائخ أهل الإسناد والعلم الراسخ، شيخنا ولي الله تعالى ذو المؤلفات الحسان، قاضي قضاة الشافعية بالقاهرة كان، زين الدين أبو محمد زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري - نفع الله به وأعاد علينا من بركته -.

وكان إذا سمع قوله ﷺ «من أُخِذَتْ كريمتيه في الدنيا لم أرْضَ له من الآخرة إلاّ الجنة» يقول عقب سماع ذلك، رضيت بالجنة هنالك.

[٢٤-ب] وشيخنا العلامة مفتي الشافعية، وعين القراء بالديار المصرية، شرف الدين أبو الفضائل عبد الحق بن محمد بن عبد الحق السنباطي.

شيخ الإسلام، عين الشافعية بالشام، تقي الدين أبو بكر بن محمد قاضي عجلون الدمشقي.

بلِدّيه مفتي الحنفية الآن عين الأعيان، قطب الدين محمد بن سلطان.

شيخنا خطيب المسجد الحرام، خاتمه المسندين الأعلام، محب الدين أحمد ابن الخطيب أبي القاسم محمد العقيلي النويـ ـري وهو كأبيه عَمِيَ في آخر عمره.

---

(١) ما ورد في النص السابق من نقاط متوالية يدلّ على أن اللفظ غير مقروء أو مقطوع في التصوير .

(٢) ابن فهد (النجم): الدر الكمين ١: ١٦٧.

شيخنا باليمن، علاّمة الزمن جمال الدين محمد بن علي الشهير بابن الصائغ الزبيدي الشافعي.

ومن المشايخ المعتَقدين، المشهورين بالولاية عند المسلمين، السيد الشريف، قطب اليمن المعظم المنيف، أبو بكر بن عبد الله الحِبْشي الملقب بالعيدروس، وهو بلغة أهل حضرموت الأسد الذي لا يغالب ولذلك بلغ ما أحب. وقد اجتمعتُ به في بلد عدَن من بلاد اليمن سنة أربع عشر وتسعمائة [٩١٤هـ ./١٥٠٨م] ولاحظني ببركته، وشملني بدعوته.

وكذلك بالقاهرة ذو الأوصاف الفاخرة [٢٥-أ] الولي المشهور، الذي هو بالكرامات مذكور، الشيخ عبد القادر الدشطوخي البهنساوي. كما ذكره شيخنا الحافظ السخاوي في ضوئه[1]، وقد توفي بعده بنحو عشرين سنة، عام أربع وعشرين وتسعمائة [٩٢٤هـ ./١٥١٨م] وكان عمي قبل موته بعشر سنين، كما أخبرني به بعض جماعته المعتبرين، نفع الله بهم جميع المعتقدين.

وممن طرأ له العمى في آخر عمره، وهو مقيم بمكة الشيخان العالمان الصالحان المعمران العلاّن، أولهما اسمه عبد الوهاب بن محمود الكرماني الشافعي ويُعرف بصهر الإمام الطبري[2]، المتوفي ثاني أيام التشريق بعد عوده من منى بمكة سنة تسع وعشرين وتسعمائة [٩٢٩هـ ./١٥٢٣م] ودُفن بالمعلاة وقبره يزار بها.

وثانيهما اسمه محمد وعلي بن شهاب الدين أحمد بن قاضي خان الهندي النهروالي الحنفي، والد صاحبنا الشيخ قطب الدين، أحد الأفاضل المعتبرين، وكان غائباً عنه في القاهرة عشر سنين وعاد إليه وحضر وفاته بمكة عام تسع وأربعين وتسعمائة [٩٤٩هـ ./١٥٤٢م]، فُعدّ ذلك من سعادته وصلاح والده، نفع الله به. [٢٥-ب] وكذا والد مؤدبي الحافظ للقرآن، الشيخ المعمّر الجنان، والمخبر لمن يقصده بالإعانة، والعارف في الإسلام بالكهانة، شمس الدين أبو أحمد محمد بن مخراق البصري الهذلي. والحافظ لكتاب الله الجليل الأوحد المبارك الأصيل نور الدين أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن محمد ابن شيخ الصوفية. وقاضي الشافعية بزبيد شهاب الدين أحمد الشهير

---

(١) السخاوي: الضوء اللامع ٤: ٣٠٠ - ٣٠١.

(٢) نفس المصدر ٥: ١١٤.

كسلفه بالرداد القرشي البكري. وختمتُ به لكونه من ذرية أبي قحافة المذكور أولاً من الصحابة.

وغيرهم من المشايخ والأصحاب، والعلماء الأنجاب، نفع الله بهم وأعاد علينا من بركتهم بمحمد وآله.

وأمَّا العُور فمضى منهم جماعة أول هذا الباب المذكور وشيئاً في بعضهم في أول الباب الثاني من كلام الشيخ أبي بكر الخوارزمي المشهور. وألف فيهم العلامة الصلاح الصفدي الشعور، بالعور[1]، ولم أطلع عليه. وقال الإمام عز الدين ابن الأثير في مؤلفه اللباب، في الأنساب، لرواة الحديث الأنجاب: الأعور، بفتح الألف [٢٦-أ] وسكون المهملة وفتح الواو في آخرها الراء، هذه اللفظة إنما تقال لمن ذهبت إحدى عينيه. والمشهور به أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد الله المُسْتَمْلي الهمداني، توفي سنة خمس وستين ومائتين [٢٦٥هـ ./٨٧٩م] وأبو الفتح محمد بن عمر الشيزري السرخسي الأعور قتله الغُزُّ صبراً في رجب سنة ثمان وأربعين وخمسمائة [٥٤٨هـ ./١١٥٣م]. والحارث الأعور من أصحاب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيرهم مما سيأتي في الباب الثاني[2].

ومن المتأخرين من العلماء وشعراء الزمان، المقتدى بقولهم ونظمهم الآن، من فقد لعينيه إحداهما، فحصل له السعادة بالجنة في فقدهما، المولى الأديب الأوحد الأريب علاء الدين علي ابن مُليك الحموي - رحمه الله تعالى - وكان لـ ـه ولي. وصاحبنا شيخ الأدباء العلامة الوصول، مادح المصطفى الرسول، في دواوين عديدة، ومؤلفات مفيدة، زين الدين أبو اللّطف عبد اللطيف ابن الشيخ المقري أبي الحسن علي الأنصاري الشهير بالديربي الشافعي نزيل الحرمين الشريفين، بلّغه الله خبري الدارين، المشير لذلك في الزمن الغابر، ضمن قصيدة امتدح بها [٢٦-ب] بعض الأكابر، مطلعها:

لا تعذِلَنـ ـيّ مـِ ـن فكـ ـري ومن سـ ـهري   أسـ ـاس ما بـ ـي دار الـ . ذل والخـ ـور

ومنها:

بالله بالله دعنـ ـي إنـ ـي رجـ . ـل   بالصفو عندي مشغول على الكدر

(١) طبع هذا الكتاب بتحقيق عبد الرزاق حسين، طبع عمان - الأردن - دار العمار، سنة ١٤٠٩هـ ./١٩٨٨م.
(٢) ابن الأثير (عز الدين): اللباب، في تهذيب الأنساب، ٧٦/١.

لا أعتـ . ـب النـ ـاس من أنثـ ـى ولا ذكرٍ ... بابـ . ـي وفائي وبابي حسْـ ـن مصطبر ي

وهـ ـل يَميـ ـل إلـ ـى عتـ ـب علـ ـى أحدٍ ... مـ ـن كـ ـان ينسـ ـب ما يأتي إلـ ـى القدر

دع الهمـ . ـوم وخـ ـذ في ما يسـ ـرّ وإن ... أُضِمـ ـتَ مـ . ـن فتيـ ـةٍ ألفتْهـ ـمُ فِكـ ـري

إذا تذكرتهـ ـم أشـ ـفقتُ مـ ـن نفسـ . ـي ... على جليسـ ـي أن يصلي لظى شـ ـرري

أواه راحـ . ـة ثكلـ . ـى مـ . ـن حرارته ... فـ ـلا تلمني إذا مـ . ـا بُحْـ ـتُ بالضـ ـرر

ومنها في المقصود:

لـ ـولا جميلـ ـك فـ ـي أم القـ ـرى بيـ ـدي ... تغامـ ـز الناس فـ ـي فقري علـ ـى عَور

وقوله أيضاً في المعنى معرضاً بأحول، وهو مَن يرى الواحد اثنين والاثنين أربعة، وهلم جرا في العدة، وفيه لطافة وإشارة إلى نفسه وهو:

يقولـ ـون لي يا أعـ ـور النجس لا تكـ ـن ... كأحـ . ـول في الرؤيا يـ ـرى اثنين أربعة

علـ ـى واحد إن شـ ـئت رؤياكـ ـه اقتصرْ ... ولا تقتصـ ـر إلا علـ ـى الخيـ ـر والدعة

فمـ ـا أنـ . ـت إلا أعـ . ـور غيـ ـر أحول ... فللأحول التنكير والحمق والضعة....[1]

[٢٧-أ] وفي صحيح البخاري في غزوة خيبر أنه ﷺ قال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقالوا: يا رسول الله إنه يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه، فأُتِيَ به فبصق رسول الله ﷺ في عينيـ ـه ودعا له فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع. وعند الطبراني من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: فما رمدتُ ولا صدعتُ منذ دفع إليّ رسول الله ﷺ الراية يوم خيبر. وفي رواية لمسلم من طريق إياس بن أبي سلمة عن أبيه قال: فأرسلني النبي ﷺ إلى علي فجئت به أقوده أرمد فبصق في عينه وبرئ لوقته.

وعند الحاكم من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فوضع ﷺ رأسي في حجره ثم بزق في راحتيه فدلك بها عيني. وعند الطبراني فما اشتكيتها حتى الساعة. وقال: دعا بي ﷺ فقال: «اللّهم أذهبْ عنه الحرَّ والقرَّ». قال: فما اشتكيتها حتى يومي هذا.

يقول مؤلفهُ محمد جار الله وفقه الله: إن الأحاديث الشريفة، الواردة في شفاء عين علي - كرّم الله وجهه - كلها صحيحة وحسنة طريفة، وهي كثيرة لا تُحصى، لأن فضل الله وكرمه لا يستقصى.

---

(١) هنا ورقة أو ورقات مفقودة من المخطوط.

[٢٧-ب] ومنها أنه ﷺ دعا علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إليه فأتاه وبه رمد فبصق في عينيه، ودفع الراية يوم خيبر إليه ففتح الله تعالى عينيْه. وقال في معنى ذلك، حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هنالك:

وك . ـان عل . ـي أرمـ ـد العيـ ـن يبتغي   دواءً فلـ . ـم يوجـ . ـد لـِ ـداه مُداويـ . ـا

شـ ـفـ ـاه رسـ . ـول الله منـ . ـه بتفلـ ـة   فبـ . ـورك مرقيـ . ـاً وبـ . ـورك راقيـ ـا

وقال سـ ـأُعطي رايـ ـة القوم فارسـ . ـاً   كَميّـ ـاً شـ ـجاعاً في الحـ ـروب محاميـ ـا

يحـ . ـبّ الإلـ . ـه والإلـ . ـه يحبّـ . . ـه   بـه يفتـ . ـح الله الحصـ . ـون الأواقيـ ـا

فخـ ـصّ بهـ ـا دون البريـ . ـة كلهـ . ـم   عليـ ـاً وسـ ـمـ ـاه الولـ . ـي المراضيـ ـا

ثم قال شيخنا القسطلاني عقب كلامه الماضي، وأَصيب سلمة بن الأكوع يوم خيبر أيضاً بضربـ ـة في ساقه فنفث فيها ﷺ ثلاث نفثات فما اشتكاها قط. رواه البخاري، رحمه الله.

ونفث ﷺ في عيني فديك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكانتا مبيضّتين لا يُبْصر بهما شيئاً وكان وقع على بيض حية فكان يدخل الخيط في الإبرة وإنّه لابن ثمانين سنة وإن عينيه لمبيضتان. رواه ابن أبي شيبة والبغوي والبيهقي والطبراني وأبو نعيم ولله الحمد. انتهى(١).

وقال شيخنا القسطلاني عنهما [٢٨-أ] ورحم الله الأديب شرف الدين الأبُوصيري، لقد أحسن المقال حيث قال:

وكل آيٍ أتـ ـى الرسـ ـل الكـ ـرام بهـ ـا   فإنهـ ـا اتصلـ ـت مـ . ـن نـ ـوره بهمـ ـا

وإنه شـ ـمسُ فضـ ـلٍ هـ . ـم كواكبهـ ـا   تظهـ ـر وأنوارهـ ـا للنـ ـاس فـ ـي الظلم

ثم وجدتُ بعض هذا في كتاب النجم الثاقب، في أشرف المناقب،(٢) للعلامة الأديب أبي الطاهر حسن بن عمر بن حبيب الحلبي الشافعي - رحمه الله تعالى - فصلاً لطيفاً في كلام الموتى والأطفال وإبراء ذوي العاهات من النساء والرجال، لنبينا محمد المصطفى، زاده الله فضلاً وشرفاً، فحسن لي إيراده في هذا التأليف ليتّعظ به كل ذي طبع لطيف، وإن تكرر لي بعضه في ما تقدم فهو زيادة في الحكم. وقد شافهني به جماعة من

---

(١) القسطلاني: المواهب اللدنية، ٥٨١/٢.

(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون ص ١٩٣٠.

المشايخ، أهل الإسناد والعلم الراسخ، أعلاهم العلامة المسند الخطيب البليغ الأمجد محب الدين بن أحمد بن أبي القاسم العقيلي النويري المكي الماضي هو وأبوه في العميان - تغمدهما الله بالرحمة والرضوان - عن الحافظ الكبير برهان الدين إبراهيم بن محمد بن خليل الحلبي الشافعي كتابة منها قال: أخبرني به مؤلفه - رحمه الله تعالى - فقال: [٢٨-ب] ومن معجزاته ﷺ أن الشاة المصْلية التي بخيْبر أهدتها له اليهودية فأخبرته بأنَّها مسمومة، وأن عاقبة الأكل منها مذمومة، فمات بشير بن البراء وهو أحد مَن أكل منها. وفي رواية أن ذراعها أو فخذها تكلّم عنها. ثم إن اليهودية اعترفت بما عملت فأمر بها ﷺ فقُتلتْ.

وأُتي بغلام يوم ولادته فنطق بين يديه ﷺ شاهداً برسالته ولم يتكلم الغلام بعدها حتى شبَّ، وليس ذلك بمستنَكر بعد كلام الظّبْية والضَّبّ. وانطلق مع الرجل الذي طرح ابنته بالوادي، فناداها باسمها فخرجت وهي ملبية تنادي. فقال: إن أحببت أن أردك علي أبويك فقد أسْلما قالت: لا حاجة لي بهما، وجدت الله خيراً لي منهما.

وأما حياة الشاب الأنصاري الذي مات، وما دعت أمه العجوز العمياء من الدعوات وما ذكرت من هجرتها إلى الله ورسوله، فعن أسد نقل حديثها من لا يرتاب في منقوله. وتكلّم ثابت بن قيس حين أُدخل قبره، [٢٩-أ] فشهد له بالرسالة وذكر اسمه السامي قدره، وكان قتل باليمامة، تغمده الله بالرحمة والكرامة.

وتكلم أيضاً زيد بن حارثة بعد وفاته وذكر اسمه الكريم ورسالته المعظمة وبعض صفاته وسلم عليه بأفصح لسان. ثم عاد ميتاً كما كان:

تكلّمـ . ـت الموتـ ـى بحضـ . ـرة أحمـ ـد	وخاطبـ ـه فـ ـي يـ ـوم مولـ ـده الطـ ـفل
ومـ ـا ذاك بِدْعـ . ـاً بعـ ـد تكليم بعضهم	لعيسـ . ـى كمـ ـا وافى.......[١] والعقل
وقـ ـد أخبـ . ـر الرحمـ ـن أن محمـ . ـداً	على سـ ـائر الرسـ ـل الكرام له الفضـ ـل
هو المصطفى المختار والشاهد الرضى	هـ ـو المنعـ ـم الوهـ . ـاب والحَكَم العدل

وكان قتادة أسكنه الله بحبوحة جنته، قد أصيبتْ عينه يوم أحد حتى وقعت على وجْنتِه فردّها ﷺ فكانت بعد أحسن عينيه.

---

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل ولعلها: النبأ.

وأصيب وجه أبي قتادة بقدح من القداح، فبصق على جرحه فما ضرب ولا قاح. وتشفّع به إلى الله بعض العميان، وكشف عن بصره كشفاً عوضه عن الخبر بالعيان. وابن ملاعب الأسنّة أهلكه استسقاء ....[1] عليه فشفي بحثوة من الأرض تفل عليها وجهزها إليه. ولما أبيضت عينا فديك وذهب نظره [٢٩-ب] بصق في عينه ﷺ فارتدّ إليه بصره حتى كان يُدخل الخيط في الإبرة، والقوم يرفعون إلى ثمانين حجة عمره.

ورُمي كلثوم بن الحصين يوم أحد في نحره، فبصق فيه فبرئ بأمر مَن لا رادّ لأمره.

ولم تمد شجة عبد الله بن أنس، حين نفث عليها من شهد نبوته وأنس، وفي عيني علي نفث يوم خيبر، فأصبح رمَدُه لم يكنْ شيئاً يُذكر. شعر:

ك فّ رسـ ـول الله ك . ـم أبرأتْ	عيـ ـا وأجرتْ في الفلا من عيون
وك ـفّ سـ ـقيـ ـم مدنـ ـف صيرت	تحرّك ما أسـ ـقمه من سـ ـك ـون
واسـ ـأل فديكاً إن تشـ ـأ أو فسـ ـلْ	قتـ ـادة تظفـ . ـر بسـ . ـر مصون
واعلـ ـم بـ ـأن الصـ ـادق المجتبى	أصعـ ـب من هـ ـذا عليـ ـه يهون

ونفث على ساق سلمة بن الأكوع من ضربة أصابها في يوم هو سمّاه يوم الرُضع.

وأصاب رِجْلُ زيد بن معاذ السيف فبرئت بنفث ببركته فذهب الحيف والخيف.

وانكسرت يوم الخندق ساق ابن الحكم فنفث فيها فبرئ مكانه ولم يحصل له ألم. واشتكى علي ثم صرفه برجله فلم يعد له ذلك الوَجع من أصله. وقطع أبو جهل يد معوذ بن عفراء [٣٠-أ] يوم بدر، فبصق عليها وألصقها بإذن مَن شَرح له الصدر.

وضُرب حبيب على عاتقه فتهدّل شقّه ومال، فنفث عليه ورده إلى ما كان عليه قبل القتال. وبَرئ صبي الخثعمية بغسالة يديه، وعقل عقلاً كبيراً ببركته ﷺ.

وانكفأت القدر على ذراعٍ من حاطبٍ وهو صغير، فمسح عليه ودعا له فبرئ بوقته بإذن اللطيف الخبير. وكانت في كف شرحبيل[2] سلْعة منعته القبض على السيف

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل.

(٢) هو الصحابي شرحبيل الجعفي ترجمه ابن الأثير في أسد الغابة ٢/٣٩٠. وذكر قصة السلعة التي كانت بيده.

وضّيقتْ ذرعه فما زال يطحنها بكفه حتى ذهبت وزال أمرها ببركة يده التي كم أبرأتْ وكم وهبتْ.

وإبراء غير واحد من ذي جِنّة وذي وَصَب، وكم أبرأ أخا مَسّ فصكّ في صدره إلا ذهب. شعر:

يا مـ ن لـ . ـه الرُّتَب العلية والحسـ ـب … يا من حوى شـ ـرف المغارس والنسب
دعَواتِ . ـك التـ . . ـي نمـ . ـتْ بركَاتها … كـ ـم أذهبـ ـت مـ ـا كان يُفْضِـ ـي للغضب
مِـ ن ضربـ . ـة عنـ ـد النـ ـزال وطعنـ ـه … يأتـ ـي ومِن مـ ـسّ يُصيـ ـب ومن وصب
أنت الـ ـذي بلغ المنـ ـى مَن عُـ ـدّ مِـ ـن … خُـ ـدَّام سُـ ـدّتك الشـ ـريف . ـة والأرب
صلـ . ـى عليـ ـك مدبّـ ـر الأكـ ـوان مـ ـا … ظهـ ـر الضيـ ـاء مـ ـن الغداة أو احتجب

انتهى كلام الأديب ابن حبيب في مؤلفه المسمى النجم الثاقب، في أشرف المناقب.

[٣٠-ب] ثم ظفرتُ بعد هذا بكتاب لطيف للمهتدي بخط الإمام الحجة أبي المظفر عمر بن الوردي في المعجزات، لسيد السادات، من الشفاء لذوي العاهات، ولعله مختصر شفاء الصدور، في إيضاح البيان، من كشف حقائق البرهان، في أعلام نبوة الرسول الباهرة، وما حباه الله به من الكرامات، وأظهره على يديه من المعجزات الخارقة للعادات، وما أخبر به من الغيوب في الحال، وما كان وما يكون في المآل، تأليف العلامة أبي الربيع سليمان بن سبع ذي الفضل المربع فذكر منها.

١- حديث عين قتادة بن النعمان، وما وقع في ردها من البيان، مع إنشاد البيتين الماضين في بعض أولاده لما وفد على عمر بن عبد العزيز لقضاء مراده مع زيادة ألفاظ فيهما، وردّه على قائلهما ببيت بعدهما ولفظه. روي أن رجلا سأل عمر بن عبد العزيز حاجة عظمت عنده فقال: من أنت حتى تستوجب هذه المسألة؟ فقال:

أنـ ـا ابن الذي سـ ـالت علـ ـى الخد عينه … فـ ـرُدَّت بكـ ـفّ المصطفى أحسـ ـن الردّ
فعـ ـادت كمـ . ـا كانـ . ـت لأول مـ ـرة … فيـ ـا حسـ ـن مَا عيـ ـن ويا طيـ ـب مَا يد

فقال له عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

[٣١-أ] وتلـ ـك المكارم لا قعْبان من لبنٍ … شِـ ـيبَا بمـ . ـاءٍ فعـ ـادا بعـ ـد أبـ ـوالا[١]

---

(١) وردت القصة كاملة في كتاب أسد الغابة لابن الأثير، ٤: ١٩٦ .

ومنها ٢: أن عبد الله بن أنيس ضرب رِجل بسر بن زرارم اليهودي فقطعها وشجّ هو وجه عبد الله شجّة مأمومة، فلما قدم على رسول الله ﷺ بصق في شجّة عبد الله فلم تؤذه حتى مات، رحمه الله.

ومنها ٣: أنه أصيبْت ساق سلمة بن الأكوع بضربة يوم حنين فأتى رسول الله ﷺ فنفث فيها ثلاث نفثات، فما اشتكى ساقه بعد ذلك.

ومنها ٤: أن غلاماً من بني سَلامان بن سعد ابيضّت عيناه فجاء به أبوه أو خاله إلى رسول الله ﷺ فنفث عليه الصلاة والسلام في عينيه فأبصرتا، وكان يُدخل الخيط في الإبرة وهو من أبناء ثمانين سنة.

ومنها ٥: أن امرأة أتت رسول الله ﷺ بابن لها صغير أخرْس فقالت: يا رسول الله ابني وواحدي وبقية أهلي لا يتكلم، فدعا بماء فغسل يديه وتمضمض ثم سقى الغلام فتكلم وخرج أفصح مِن قومه لساناً وعقلاً.

ومنها ٦: أن امرأة شكت إلى رسول الله ﷺ جنون ابنٍ لها وقدمته إليه فمسح صدره وتفل في فيـ ـه [٣١-ب] وَدعَا له فسعل الصبي وخرج من جوفه شيء أسود وبرئ من ساعته.

ومنها ٧: أن رِجل عمرو بن معاذ قُطعت يوم بدر وكادت تسقط فتفل فيها رسول الله ﷺ وبرئت في الحال.

ومنها ٨: أن رسول الله ﷺ تفل على عتبه بن فرقد وكان أصابه الشرى[١] فبرئ من ساعته، وكان شم من يديه رائحة الطيب بقية عمره.

ومنها ٩: أن بنت المخلل العامرية كانت تطبخ طبيخاً فقامت تحمل الحطب فمدّ ابنها محمد بن حاطب يده إلى القدر وهو طفل والقدر يفور فكفأ على يديه فانطمستا، فلما رأته على تلك الحال جزعت وجاءت به إلى رسول الله ﷺ فمسح رأسه وتفل على يديه فبرئ في الوقت.

ومنها ١٠: أن أبا رُهم الغفاري رُمي بسهم يوم أُحُد فوقع في نحره، فبصق عليه رسول الله ﷺ فبرئ مكانه، وكان أبو رُهم يسمى المنحور[٢].

---

(١) الشرى: مرض جلدي يتمثّل في بثور حمراء.

(٢) ابن الأثير (عز الدين): أسد الغابة ٤: ٢٥٠! ٥: ١٩٧.

ومنها ١١: أن مشركاً أتى رسول الله ﷺ [٣٢-أ] فقال: يا محمد إن بي أُدْرة[١] وبلغني أنك طبيب فعالجني.

فقال: ما أنا بطبيب، ولكن إن شئتَ دعوتُ لك ربي فأتِني بطستٍ من ماء فأتاه به فحساه ثم مَجَّ فيه، فقال: اذهب فانتضِحْ به بيديك ففعل، فغلبته عينه فانتبه في السحر، فذهب يلتمس ذلك فإذا هو مثل الحشفة، فأسلم.

ومنها ١٢: أن رسول الله ﷺ نزل ماءً لبكر بن وائل فاجتمع إليه أهل الماء وقدّموا طعاماً وقصدوا معه يأكلون ومنهم رجل شاب يأكل بشماله، فقال رسول الله ﷺ: «كل بيمينك» قال الشاب: يا رسول الله إنّ يميني كسرتْ بالأمس وقد شدَّتْ بالجبائر. فحلّها ﷺ ومسح يمينه بيده وقال: كل فأكل بيمينه، ولم يَبِنْ في يمينه أثر قط.

ومنها:[٢] أن فـ راس بن عمرو أصابه صداع شديد فجاء بِهَ أبوه إلى النبي ﷺ يستشْفيه، فدعا رسول الله ﷺ فراساً فأجلسه ثم أخذ بجلدة ما بين عينيه فزال عنه الصداع في الوقت، ونبت في مواضع أصابع رسول الله ﷺ شعرات. فلما خرج الخوارجِ بِحَرَوْرَاء أُخْرِج فيهم [٣٢-ب] فسقطت تلك الشعرات النابتة، فتاب واستغفر ربه فعادت كما كانت.

ومنها ١٣: أن حنظلة بن حنيفة وَرِمَ وجهه في صغره فجاء به أبوه إلى رسول الله ﷺ فقال: أدع الله له. فأخذ رسول الله ﷺ يده فقال «بارك الله فيك» ودعا له فزال عنه الورم. فكان حنظلة يؤتى بالرجل الوارم وجهه أو الوارم وجهها فيمر يده على موضع الورم فيبرأ في الوقت ببركته ﷺ.

ومنها ١٤: أن امرأة أتت رسول الله ﷺ بابن لها أقرع فمسح رأسه فزال عنه القرع ونبتَ شعره. ورُوي أنه ﷺ مسح يـ ده على رأس أقرع فنبت شعره، وسمي القلب.

ومنها ١٥: أن رجلاً من جُهيْنة كان يقطع من الجذام ويبرم منه أهله، فجاء إلى رسول الله ﷺ وشكا إليه ما ابتُلي به، فأخذ قدحاً من ماء وتفل فيه. وقال له: امسح به جسدك. ففعل وبرئ وصار أصحّ مَن في عشيرته.

---

(١) الأُدْرة: مرض يصيب أسفل الرجل.

(٢) سقط هنا ترقيم الرواية في المخطوط .

ومنها ١٦: أن رسول الله ﷺ خطب إلى الحارث بن عوف ابنته فقال: [٣٣-أ] لا أرضاها لك فإن بها سوءاً، فقال عليه الصلاة والسلام «ليكن ذلك» فرجع إلى منزله وقد برصتْ، وكانت تُعرف بعد ذلك بأم شبيب البرصاء. قال الشاعر فيها.

وجدْنا بنـ ـي البرصاء من ولد الظهر مـ ـن مبلـ ـغ فتيـ ـان مُـ ـرَّة أنـ ـا

ومنها ١٧: أن معاذ بن عفراء تزوّج امرأة فقيل لها: إن بجنبه برصاً فكرهت أن تُزفّ إليه، فجاء معاذ إلى النبي ﷺ وشكا إليـ ـه ذلك فقال النبي ﷺ «اكشف لي عن جنبك» فكشف له عن جنبه فمسح رسول الله ﷺ بعودٍ فذهب البرص عنه.

ومنها ١٨: أن عمر بن عمرو بن الجموح انتهى إلى أبي جهل يوم بدر فضربه بسيفه فوقعت الضربة بمرفق حفص بن المغيرة فتعلق بجلده وكاد أن يبين من جسده فوضعه تحت رجله وتَمطَّى عليه ليقطعه، فقال له أخوه: مهلاً حتى تأتي رسول الله ﷺ فأتاه فأعاده في مكانه وتفل عليه فالتحم في الوقت. وكان يقول: إنها لأقوى يديه.

ومنها ١٩: أن أبا براء ملاعب الأسنّة كان أصابته دبيلة[1] أشرفَ منها على الموت [٣٣-ب] فأنفذ لبيد بن ربيعة إلى رسول الله ﷺ وأنفذ إليه فرسيْن ونجائب وسأله أن يستشفي له من دبيلة في بطنه، فلم يقبل رسول الله ﷺ هديته وأخذ مدرة من الأرض فتفل فيهـ ـا ثم قال: دقّها بماء واسقه إياها. ففعل ذلك فشفي من ساعته. وقام كأنما نشط من عقال، فأسلم أبو براء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومنها ٢٠: ما روي عن رافع بن خديج أنه قال في النَّصْل الذي بقي في لبته لما رُمي بسهم، أنّ النبي ﷺ مسحه بيده، وتفل عليه فلم يكسر في لحمي غير أنه تدبر في رأس الحول.

ومنها ٢١: ما روي عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد أن قتل مسعدة في غزوة الغابة وبشر النبي ﷺ بقتله. فقال له: «اللّهم بارك له في شعره وبشره، ثم قال: ما هذا الذي بوجهك؟ قلت: سهم أصبت به يا رسول الله، قال: فادْنُ مني فدنوتُ منه فبصق عليه فما ضرب عليه قط ولا فاح»، فمات أبو قتادة وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمسة عشر سنة.

---

(١) الدبيلة: دُمّلٌ داخلي يصيب الإنسان .

ومنها ٢٢: أن رسول الله ﷺ لما هاجر [٣٤-أ] إلى المدينة خلّف عليّاً بمكة ليحمل أهله إليه فلحق به راجلاً يسير ليلاً ويكْمن نهاراً، فلما أتاه رأى ما برجليه من الورم والشقاق وكانتا تقطران دماً، فتفل على يده ومسح رجليه فقام في الوقت، ولم يشك رجليْه.

ومنها ٢٣: أن امرأة جاءت معها عكة سمن ومعها بنت فقالت: يا رسول الله ولدتُ هذه كمْهَاء فأخذ رسول الله ﷺ عوداً ومسح به عينيها فأبصرتا.

ومنها ٢٤: قصة الطفيل بن عمرو الدوسي لما قدم المدينة للإسلام وأراد الرجوع لقومه طلب الدعاء لإعانته عليهم. فقال ﷺ، «اللهم اجعل له آية توضح بها حجتك». فلما كان بثنيةٍ تُطْلعُه عليهم وقع بين عينيه نور مثل المصباح، فقال: اللهم في غير الوجه، فإنّ القوم إذا رأوني ظنوا أنها مُثْلة انقلبتُ بها لمفارقتي لدينهم. فتحوّل ذلك النور على سوطه مثل القنديل المعلق. وسألوه عن شأنه فأخبرهم وأسلموا وقدموا على رسول الله ﷺ وشهدوا معه فتح مكة، وفي ذلك يقول:

رأيت علامة والليل داجٍ ... على ظهر الطروس[1] كضوء برق

علامة أحمد إرسال ربي ... فكانت آية مصداق صدقي

[٣٤-ب] وألقى الأسود العنسي أبا مسلم عبد الله بن ثوب في النار فلم يضرّه. وقالت جارية لأبي مسلم: لا زالتُ أعجن السم في طعامك فما أراه يضرك. قال: إني كنت أقول إذا أردتُ أن آكل بسم الله خير الأسماء الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء.

ومنها ٢٥: أن رجلاً أعمى أتى النبي ﷺ فقال: «أني أُصبت في بصري فادع الله لي، قال: أو أدعك. قال: ادع الله لي. قال ﷺ أو أدعك. قال: أدع الله لي. قال ﷺ: أو أدعك. قال: ادع الله لي يعني ثلاثاً، قال: فتوضأ ثم صلى ركعتين وقال: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بالنبي محمد نبي الرحمة. يا محمد أستشفع بك إلى ربي في رد بصري. اللهم شفعني في بصري وشفع نبيّي فيّ. فرد الله عليه بصره. قال: وإن كانت لك حاجة فافعل مثل ذلك.

(١) وردت الكلمة بالأصل: الطرس، والإصلاح مقترح.

ومنها ٢٦: أن النابغة الجعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنشد النبي ﷺ وقال:

بلغنا السد ماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال النبي ﷺ «إلى أين؟ قال: إلى الجنة. قال: إن شاء الله». ثم قال:

ولا خير في حلْم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يُكَدَّرا

[٣٥-أ] ولا خير في أمر إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال: «أحسنت يا أبا ليلى لا يفضضّ الله فَاك». قال فأتى عليه أكثر من مائة سنة وكان مِن أحسن الناس ثغراً.

ومنها ٢٨: أن عمران بن الحمق[1] الخزاعي سقى رسول الله ﷺ فقال: «اللّهم أمتعه بشبابه» فمرت له ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء.

ومنها ٢٩: أن زبيدة كانت أسلمت وكان مولاها أبو جهل يعاقبها بكل نوع من العذاب لترتدّ عن الإسلام وكانت تأبى فاشتراها أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأعتقها فعميت عنده. فقال لها أبو جهل: كيف رأيت تضييع اللات والعزى بك لما تركت دينهما؟ فدعا لها رسول الله ﷺ فردّ الله عليها بصرها.

ومنها ٣٠: أن النبي ﷺ دخل على بعض أزواجه وبين إصبعين من أصابعه بثرة فقال: هل من وزيرة؟ قالت فأشد بها موضعها عليها وقال: «اللهم مكبر الصغير ومطفئ الكبير اطفئها عني فطفيت بإذن الله تعالى».

ومنها ٣١: أن رسول الله ﷺ كتب إلى بني حارثة بن عمرو بن خوط يدعوهم إلى الإسلام فرقّعوا بكتابه دلوهم فقال لهم: ذهب الله بعقولهم. قال: فهم أهل رعدة وعجلة وكلام مختلط وأهل سَفَهٍ [٣٥-ب] فنعوذ بالله من الضلالة، ونسأله العافية والسلامة في كل حالة، ببركة المظلل بالغمامة، الشفيع يوم القيامة، ﷺ، وشرف ذكره ومجّد وعظّم.

ومما يلحق بهذا الباب ما سُمع من دعوات الأصحاب ومنها: يقال: لما أُخبِر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أهل العراق حَصَبُوا أميرهم قال: اللهم إنهم قد لبَّسوا عليّ فلبّس

(١) كذا بالأصل، ولعل المقصود هو الصحابي عمران بن الحصين الخزاعي الذي وردت ترجمته عند ابن الأثير (عز الدين) في أسد الغابة ٤: ١٣٧ - ١٣٨.

عليهم وعجّل عليهم بالغلام الثقفي - يعني به الحجاج بن يوسف - يجيء بحكم فيهم بحكم الجاهلية، لا يقبل من محسَنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم. فأجاب الله دعوته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ورُوي أن رجلاً دخل على عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الدار فلما دَنَا منه خرجت امرأته فأقبل عليها فلطمها فنظر إليه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: مالك سلب الله يدك ورجليك وأعمى بصرك وأدخلك باب جهنم. فرُئيَ الرجل أعمى مقطوع اليدين من الكفين والرجلين من الحقويين.

ويُروى أن رجلاً حدّث علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بحديث فقال: ما أراك إلاّ كذبتني قال: لم أفعل. قال: أدعو الله عليك إن كنتَ كذبتَ قال: ادع، فدعا علي ـه فما برح حتى عمي.

ورُوي أن علياً - كرم الله وجهه - مرّ على دار رجل من مراد [٣٦-أ] وهم يبنونها فسقطت عليه قطعة فشجّته. فدعا الله - عز وجل - أن لا يكمل بناءها، فما وضعت عليها لبنة بعد ذلك.

وأصاب سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالقادسية خراج فلم يشهد يوم فتحها فقال رجل من بجيلة:

ألم تـ . . . ـر أن الله أظهر دينه   وسـ ـعدٌ بباب القادسية معصم

فأُبْنا وقد أيِمَتْ نسـ ـاء كثيرة   ونسوة سـ ـعد ليس فيهن أيّم

فقال سعد: اللهم أكفنا يده ولسانه، فرُمي فخرس ويبست يده.

وسمع رجلاً من أهل الشام أحمر أزرق العين يشتم الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ويتناول أبويْه، فغضب سعد واستقبل القبلة ورفع يده وقال: إنه شتم امرءاً صالحاً وامرأة صالحة اللهم فأرِ المسلمين فيه عبرة يتّعظون بها. قال: فوالله ما برح الرجل حتى زَمِنَ.

ورُوي أن سعداً خطبهم بالكوفة ثم قال: يا أهل الكوفة أيُّ أميرٍ كنتُ لكم؟ فقام رجل فقـ ـال: اللهم إن كنت ما علمتك، لا تعدل في الرعية، ولا تقسم بالسوية، ولا تعدل في السرية. فقال سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللهم إن كان كاذباً فاعْمِ بصَره وعجّل فقْره وعرِّضْه للفتَن [٣٦-ب] قال: فما مات حتى عمي، وكان يلتمس الجدران، وافتقر حتى سأل الناس، وأدركته فتنة المختار. وكل ذلك ببركته ﷺ لأنه دعا لسعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأن تجاب دعوته ويُكْرم.

وعن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَن أَرْوَى خاصمته في أرض. فقال: إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول «من أخذ شبرا من الأرض طوّقه الله إلى سبع أرضين يوم القيامة» وقال: اللهم إن كانت كاذبة فأعْمِ بصرها واجعل قبرها في دارها. فعميت فبينما هي تمشي في الدار وقعت في بير دارها فكانت قبرها.

وروي أن رجلاً راح إلى مسجد رسول الله ﷺ فرأى امرأة فأعجبته فقال: اللهم إن جعلتَ بصري عليّ نعمة وخشيتُ أن يَكون نقمة، اللهم اقبضه. قال: فإذا هو أعمى. وكان له ابن أخ يقوده إلى المسجد فأتى به إلى المسجد يوماً وانصرف عنه فناداه الشيخ فلم يجبه ثم تحرك بطن الشيخ فقال: اللهم إنك جعلت بصري عليّ نعمة وخشيتُ أن يكون نقمة وسألتُ قبضه ففعلتَ وإني أخاف الفضيحة في يومي هـ ذا، [٣٧- أ] فإذا هو مفتوح العينين. قال مالك: رأيته صحيح العين ثم رأيته أعمى ثم رأيته صحيحاً.

وروى عمرو بن مرة الجهني قال: قلت لرسول الله ﷺ ابعثني إلى قومي لعل الله أن يمنّ عليهم بي كما مَنَّ بك عليَّ، فبعثني فدعوتهم فأجابوا إلاَّ رجلاً واحداً فإنه قال: يا عمرو بن مرة أمرَّ الله صدرك، أتأمرنا بمخالفة دين آبائنا؟ فقال له عمرو: الكاذب مني ومنك. فأمرّ الله عينيه وأبكم لسانه وأكمَهَ إنسانه. قال: فوالله ما مات حتى سقط فوه فما كان يقدر على الكلام، وعمي واحتاج.

ويقال إن رجلا من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار يُكنّى أبا معلق وكان يتّجر بمال له ولغيره يضرب في الآفاق، وكان ناسكا فخرج مرة فلقيه لصٌّ مقنّع في السلاح فقال له: ضع ما معك فإني قاتلك. قال: ما تريد إلاّ دمي؟ شأنك بالمال، قال: أما المال فلي فلست أريد إلاّ دمـ ك. قال: إذا أبيتَ فذرني أصلي أربع ركعات. وكان من دعائه في آخر سجدة أن قال: يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعال لما يريد، أسألك بعزك الذي لا يُرام [٣٧-ب] وملكك الذي لا يُضام، وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيني شر هذا اللّص. يا مغيث أغثني ثلاث مرات. قال: فدعا بها ثلاث مرات فإذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة واضعها بين أُذُنيْ فرسه، فلما بُصر به اللص أقبل نحوه فطعنه فقتله. ثم أقبل إليه فقال: قم. قال: من أنت بأبي أنت وأمي فقد أغاثني الله بك؟ قال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة لما دعوت الله تعالى بدعائك الأول سمعتُ لأبواب السماء ضجيجاً، ثم دعوت بدعائك الثالث فقيل لي دعاء مكروب، فسألت الله عز وجل أن يوليني قتله.

وروي عن الشعبي عجباً في استجابة الدعاء بفناء الكعبة بأدعية مستجابة عن بعض الصحابة والتابعين، قدمتها مختصرة بيقين، وهي: عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وأخيه مصعب وعبد الملك بن مروان - رحمة الله عليهم - في كل وقت وأوان. ومنها دعاء ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو آخذ بالركن اليماني: اللّهم إنك رحمان رحيم أسألك برحمتك التي سبقت غضبك وأسألك [٣٨-أ] بسترك على جميع خلقك أن لا تميتني من الدنيا حتى توجب لي الجنة. قال الشعبي: فما ذهبت عيناي من الدنيا حتى رأيت كل رجل منهم قد أعطي ما سأل، وبُشِّر عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بالجنة، يعني بفقد بصره كما تقدم. والله تعالى أعلم.

يقول مؤلفة غفر الله زلته، ووفّقه وثبّتَه، فليعلم كل واقفٍ على هذا المؤلف أن هذه الآيات الظاهرة كلها فاخرة، ودلائلها ظاهرة، وهي أكثر من أن تُحصى، لأن فضل الله لا يُستقصى. وقد توسلّتُ بالنبي المختار، وما رويتُه عنه من الأحاديث والآثار، وكذا عن الصحابة السادة الأخيار، أن يكفيني شر الجهلة الفُجَّار، لما نسبوا إليّ في هذا التأليف من البهتان والإفك والعار، وقصدوا به أخذ الثار، أذاقهم الله حرَّ النار، وخذلهم ونصرني عليهم طول الأعصار، وعافاني من البلاء والمحن، في كل وقت وزمن، إنه بالآمال كفيل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

[٣٨-ب] الباب الثاني: في الحادث للإنسان من العرض كالعَوَر الحَوَل الصلْع القرح البرص وعدة من العاهات والمرض.

ذكر العلامة الأستاذ فقيه بغداد أبو بكر الخوارزمي الحنفي - رحمه الله تعالى - وعاملني وإياه بلطفه الخفي في كتابه مفيد العلوم في الباب الثالث عشر في العاهات التي حصلتْ للأكابر وحالهم فيها غير خفي. منهم رؤساء البصرة كانوا أربعة وهم عُوراً: أحنف بن قيس، والمهلب بن [أبي][١] صفرة، ومالك بن مسمع، وعبيد الله بن معمر.

ومن قبلهم أبو لهب الهاشمي وأبو جهل بن هشام المخزومي وأبان بن عثمان بن عفان الأموي وزياد بن أبيه وأبو بَرَدة بن [أبي][٢] موسى الأشعري كانوا حوُلاً.

---

(١) كلمة سقطت في الأصل.

(٢) كلمة سقطت في الأصل.

والصلع: عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وعُتبة بن أبي سفيان وعمر بن عبد العزيز، رحمة الله عليهما.

والعُرْج: أبو طالب ومعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعبد الله بن جدعان والحارث بن أبي شمر الغساني وعمرو بن الجموح وعبد الحميد بن عبد الرحمن وسليمان بن عبد الملك [٣٩-أ].

والبُرص: جُديمة الأبرش الأزدي ويربوع بن حنظلة وضمرة بن ضمرة وأبيض بن امرئ القيس الكندي ودريْد بن الصّمّة والربيع بن زياد والحسن بن قحطبة والحارث بن كلدة وزهير بن كعب، قام خطيباً في حرب بكر فضرط فقال: كل أبلق ضروط. وعمرو بن عبد الله بن عمرو بنِ وهب بن حذافَة أُسِر يوم بدر فأطلقه النبي ﷺ وأخذ عليه أن لا يهجوه، فعاد يوم أُحد فأُخذ ثانية فقال النبي ﷺ: «لا يلسع المؤمن من جحر مرتين» فأمر بضرب عنقه. وكانت قريش أخرجته من مكة مخافة العدوى فكان يكون في الليل في شُعَبْ الجبال وبالنهار يستظلّ بالشجر فشكى بطنه فأخذ مريه فوجَأ به في معدته فسال الماء فبرئ برصه فقال في ذلك شعراً:

لاهُ . مّ رب وائـ . ـل ونهْ ـد	واليعمـ ـلات والخيول الجُ ـرد
ورب من سـ ـعَى بـ ـأرض نجد	مـ ـن بعد مـ ـا طعنت فـ ـيّ مدّ
أبـ ـرأتَ منـ ـي مرضا بجلدي	أصبحت عبْ . دً لك وابن عبد

وأنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ روي أن علياً - كرم الله وجهه - سأله عن قول رسول الله ﷺ: «اللهم وَالِ [٣٩-ب] مَن وَالاَه». فقال: كبر سنيّ وأنْسِيتُ. فقال: إن كنتَ كاذباً فرماك الله ببيضاء وضح لا تواريها العمامة. فبرص جلده[١]. انتهى.

يقول مؤلفه محمد جار الله، سامحه الله وعافاه وشفاه: لم أر هذا الخبر إلاّ كما هو هنا مسطّر، لكني قصدت تأييد وجود هذا المرض، لمن به عرض. كما ذكره الحفاظ في ترجمته لرجال الكتب الستة وغيرها. فقال فيها أحمد بن عبد الله العجلي: لم يبتل أحد من أصحاب النبي ﷺ إلاّ رجلين معيقيب كان به هذا الداء الجذام وأنس بن مالك كان به وضَح. وقال عمرو بن دينار عن أبي جعفر محمد بن علي: رأيتُ أنس بن مالك بَرِصَ وبه وضح شديد ورأيته يأكل فليقم لقَماً كبيراً.

---

(١) الخوارزمي: مفيد العلوم، ص٤٧٨-٤٨٠.

وقال الإمام البخاري في تاريخه: حدثنا عبد الله بن صالح قال: حدثنا الليث بن سعد قال: حدثني سعد قال: حدثني يحيى بن سهل عن أمه أنها رأت أو زارت امرأة كانت تحت أبيه ضّرة لها، فتزوجها بعد أبيه أنس بن مالك فنظرت إلى أنس مخلقا بالخلوق وبه برص فقلتُ لها: هذا خير من سهل بن سعد وهو أكبر مِن سهل، فقال: إن رسول الله ﷺ دعا لي[١]. انتهى.

[٤٠-أ] يقول مؤلفه غفر الله له: ولقد صدق في ما نطق من الدعاء له بطول عمره وكثرة ماله وولده، كما هو ثابت في الصحاح، مع خدمته للنبي محمد سيد الفصحاء الملاح، ولقد بلغ من العمر مائة سنة وزيادة، وحصل له من المال والولد الكثرة والسعادة.

وقال العز ابن الأثير في أُسد الغابة: إنه كان يخضب بالصفرة وقيل بالحناء وقيل بالورس وكان يخلق ذراعيه بخلوق للمعة بياض كانت به[٢].

وقال شيوخنا شيوخنا الحافظ أبو الفضل بن حجر في كتابه الإصابة: قال [أبو][٣] عمر بن عبد البر: كان معيقيب الدوسي به الجذام وقيل البرص فعولج بأمر عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما.

وقال العز ابن الأثير في أسد الغابة عن ابن مندة: إنه شهد بدراً وكان على خاتم النبي ﷺ، واستعمله عمر بن الخطاب خازناً على بيت المال، وأصابه الجذام وأحضر له عمر الأطباء فعالجوه فوقف المرض. وهو الذي سقط من يده خاتم النبي ﷺ أيام عمر رضي الله عنه في بئر أريس فلم يُوجد[٤]. انتهى.

[٤٠-ب] ثم أردف خبر أنس بن مالك الماضي الشيخ أبو بكر الخوارزمي أحد الثقات، بفصل في من اجتمع فيه عدة عاهات، هم أبان بن عثمان بن عفان أصمّ أبرص أحول مفلْ ـوج. أحنف بن قيس أعور متراكب سائل الذقن. أقّرع بن حابس أصم أقرع الرأس أعور. عمرو بن عدس أبرص ولديه أفواه الكلاب. عطاء بن أبي رباح أسود

---

(١) البخاري: التاريخ الصغير (القسم الأول)، ص٢٠٩.
(٢) ابن الأثير (عز الدين) أسد الغابة ١: ١٢٧.
(٣) ورد في الأصل: عمر بن عبد البر وهو خطأ صوبناه.
(٤) ابن الأثير (عز الدين): أسد الغابة ٤: ٤٠٢ - ٤٠٣.

أعور أفطس ثم عمي في آخر عمره. مسروق بن الأجدع أحدب أشل مفلوج. أبو الأسود الدُؤلي أعرج أبْخر مفلوج[١]. انتهى كلام الأستاذ أبو بكـ ـر الخوارزمي فقيه بغداد، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

وقد نقل جميع ما ذكره جماعة من الفقهاء والعلماء النبهاء في تراجم مَن ذُكر، وهو فيها مُسطّر، فليطّلع عليها من له ذوق ونظر ويعتبر بها، ويعلم أن الله تعالى خالق لها.

وممن ذكرها من العلماء شيخنا خاتمة الحفاظ، وأوحد العلماء الأيقاظ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي - رحمه الله تعالى - فذكر في طبقات النحاة وتاريخ الخلفاء جماعة ممن هو بهم عالم، منهم أبو الأسود الدُؤلي واسمه ظالم، [٤١-أ] وقال في ترجمة الإمام العـ ـادل عمـ ـر بن عبد العزيز الأموي - رحمه الله تعالى - قال: قال الثعالبي في لطائف المعارف: وكان عمر أصلع وعثمان وعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ومروان بن الحكم وعمر بن عبد العزيز، ثم انقطع الصلع عن الخلفاء.

ثم قال شيخنا الجلال السيوطي أيضاً في ترجمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أخرج ابن منيع والحاكم عن زُرّ قال: خرجت مع أهل المدينة في يوم عيد فرأيت عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يمشي حافياً شيخاً أصلع آدم أعسر يسير طويلا مشرفا على الناس كأنه على دابة. قال الواقدي: لا يعرف عندها أن عمر كان آدم إلاّ أن يكون رآه عام الرمادة فإنه كان تغيّر لونه حُمراً كل الوقت.

وأخرج ابن سعد عن ابن عمر أنه وصف عمر فقال: رجل أبيض تعلوه حُمرة طَوال أصلع أشيب. وأخرج ابن عساكر عن أبي رجاء العطاردي قال: كان عمر رجلاً طويلاً جسيماً أصلع شديد الصلع أبيض شديد الحمرة في عارضيْه خفة شيبته كثيـ ـرة وفي أطرافها صهبة. انتهى.

وقال الإمام أبو نصر الجوهري في كتابه صحاح اللغة: الصلع هو الذي انحسر [٤١-ب] شعر مقدم رأسه، وموضعه الصُلْعَة بالضمّ[٢].

---

(١) الخوارزمي: مفيد العلوم، ص٤٨٠.

(٢) الجوهري: الصحاح ص١٢٤٤.

والقرع: الذي ذهب شعر رأسه من آفة وقد قرع فهو أقرع بيِّنُ القرع، وذهب القرع من الرأس القرعة، والقوم قُرعٌ وقُرْعان[1]. انتهى.

وقال الإمام مجد الدين ابن الأثير الشيباني في مؤلفه نهاية غريب الحديث ما ملخصه: الصلع: هي الأرض لا نبات فيها. وأصله من صلع الرأس وهو انحسار الشعر عنه. ويُجمع الأصلع على صُلعان أيضاً. ومنه حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنا أشرف الصلعان أو القرعان[2].

وقال ابن الأثير أيضاً في قرع: وفيه لا تحدثوا في القرع فإنه مصلى الحافين. والقرَعُ بالتحريك هو أن يكون في الأرض ذات الكلإ مواضع لا نبات فيها كالقرع في الرأس. والحافون: الجن.

ومنه حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أعرابياً سأل النبي ﷺ عن الصُليعاء والقريعة فقال: «القريعاء أرض لعنها الله إذا أنبتتْ أو زُرع فيها في حافتيها لا ينبت في متْنِها شيء».

وفيه نهي عن الصلاة على قارعة الطريق، وهي وسطه وقيل أعلاه. والقارعة: الداهية[3] والآيات. انتهى ملخصاً عن الثقات.

يقول مؤلفه غفر الله له: [٤٢-أ] وقد عدّ العلماء القرع والصلع من العاهات، وليس فيهما منقصة لأهل النهايات، كما وُصف مَن تقدم من الصحابة ذوي العنايات، والفرق بينهما ظاهر في العبارات، لأن الصلع يحصل في مقدمة الرأس من غير علّة، والقرع يحصل في وسط الرأس من علّة. فظهر لي من هذا التعريف أن القرع يوصف بذلك في البداية وقت المرض، ثم يصير صلعاً إذا زال العرض. فلذلك وصفتُ به نفسي مع جماعة من أكابر بلدي في الصلعان وهم في الحقيقة قرعان فأقاموا عليّ النكير لأجلها وكوني ذكرتهم فيها، وتركتهم حينئذ من الكلام بما لم يفدهم غير الملام. وقد ألّف الإمام الجاحظ كتابا في القرعان والبرصان والعرجان، ولم أطلع عليه الآن، ولم ينكره في زمانه واحد من العلماء الأعيان. وفي تأكيد الحال أنّ الصلع وصْف الكُمّل من الرجال. ويوجد ذلك

(١) الجوهري: الصحاح ص ١٢٦٢ (مع بعض اختلاف في النقل).
(٢) ابن الأثير (المبارك): النهاية في غريب الحديث والأثر ٣: ٤٦ - ٤٧.
(٣) نفس المصدر، ٤/٤٥. نقل بتصرف .

في الصالحين والأكابر المعتبرين بل المشايخ الأجلاء منهم: أبو الأسود الدؤلي وأبو عمرو بن العلاء، وقال ثانيهما في ذلك بيتاً يستشهد به الملأ هو:

وأنكرتْني وما كان الذي نكرتْ ... من الحوادث إلاّ الشيب والصَّلعا

[٤٢-ب] إلى غير هذا مما تقدم، والله تعالى أعلم.

وأبلغ منه في الموعظة رواية الحديث الجليل، المذكور في صحيح الإمام البخاري محمد بن إسماعيل، وهو حديث أبرص وأقرع وأعمى من بني إسرائيل. فقال البخاري في كتابه بدء الأنبياء: حدثنا عبد الله بن رجاء قال: أخبرنا همّام عن إسحاق بن عبد الله قال: حدثني عبد الرحمن بن أبي عمرة أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حدثنا به أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا لله تعالى أن يبتليَهم فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحبّ إليك؟ قال: لونٌ حسن، وجلد حسن، قد قَذَرَني الناس. قال: فمسحه فذهب، فأُعْطي لوناً حسناً وجلداً حسناً. فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل: أو قال: البقر. هو شك في ذلك أن الأبرص والأقرع قال أحدهما الإبل وقال الآخر البقر. فأُعطي ناقة عُشْراء فقال: يبارك لك فيها.

قال: وأتى الأقرع فقال: أي شيء أحبّ إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا، وقد قَذَرَني الناس. قال: فمسحه فذهب وأُعْطي شعراً حسناً. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر [٤٣-أ] قال: فأعطاه بقرة حاملا وقال: يبارك لك فيها.

وأتى الأعمى فقال: أي شيء أحبّ إليك؟ قال: يردّ الله إليّ بصري فأُبصر به الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره. قال: فأي المال أحبّ إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاة والداً. فأنتج هذان وولد هذا وكان لهذا وادٍ من الإبل ولهذا وادٍ من البقر ولهذا وادٍ من الغنم.

ثم أنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين تقطعت به الحبال في سفره فلا بلاغ اليوم إلاّ بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلّغ عليه في سفري. فقال له: إن الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثتُ كابراً عن كابر. فقال له: إن كنت كاذباً فصيّرك الله إلى ما كنتَ. وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له

مثل ما قال لهذا. وردّ عليه مثل ما ردّ عليه هذا. فقال: إن كنتَ كاذباً فصيرّك الله إلى ما كنتَ. وأتى الأعمى في صورته. فقال: رجل مسكين وابن سبيل، وتقطعت بي الحبال [٤٣-ب] في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي ردّ عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فردّ الله عليّ بصري، وفقيراً فأعطاني الله، فخذ ما شئت، فوالله لا أحمدك اليوم لشيء أخذته لله تعالى. فقال: امسك مالك فإنما ابتُليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك. انتهى[١].

وذكر شيخنا العلامة الأمجد شهاب الدين أحمد الشهير بالقسطلاني - رحمه الله تعالى - في كتابه المواهب اللدنية، في المنح المحمدية، عند ذكر وفد النجعي على خير البرية، وهم أحد الوفود إليه، ﷺ، وذلك في سنة إحدى عشر من الهجرة، وكان فيهم رجل يقال له زراره بن عمرو، «[قال: يا رسول الله إني رأيت في طريقي هذا رؤيا][٢] قال له وما رأيتَ؟ قال: رأيت أتانًا تركتُها كأنها ولدت جدياً أسطع أحوى، فقال له رسول الله ﷺ: هل تركتَ أمة مصرّة على حمل؟ قال: نعم، قال: فإنها ولدت غلاماً وهو ابنك. قال: يا رسول الله فأتان السفع أحوى. قال: أدن مني، فدنا منه قال: هل لك مِن برص تكتمه؟ قال: والذي بعثك بالحق نبياً ما علم به أحد [٤٤-أ] ولا اطّلع عليه غيرك. قال: فهو ذلك».

ثـ م أعاد شيخنا القسطلاني هذه القصة بالتأني في تعبيره ﷺ بشرح ما تقدم. وقال عقِبها: فانظر إلى هذا التعبير البارز من مشكاة النبوة، محشواً حلاوة الحَق، مكسواً طلاوة الصدق، مجلواً بأنوار الوحي. والأسفع: الذي أصاب جسده لون آخر كما في وصفه مرّ. والله تعالى أعلم. انتهى[٣].

يقول مؤلفه، غفر الله له وسامحه في ما جناه ومرّ، ودفع عنه كل شر وضرّ: إن البرص عاهة غير محمودة فلذلك خافَتَ به النبي ﷺ صاحبه حتى أبلغه مقصوده.

وقد ورد في الحديث الشريف «إن المحتكر للطعام يضربه الله بالبرص والجذام» وهما مما يحترس منهما الأنام. وكان ﷺ يحترس منهما ويتعوذ كما رويناه في السنن

---

(١) القسطلاني: المواهب اللدنية، ٣/٥٤٨-٥٤٩.

(٢) ما بين عاقفتين إضافة من المصدر المنقول عنه.

(٣) نفس المصدر، ٣/٥٤٩. والنص منقول بتصرف.

لأبي داود والنسائي عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الجذام والبرص والجنون ومن سيء الأسقام». وفي الغالب يحصل منهما العدوى والطِيرة، [٤٤-ب] والإبعاد من صاحبهما تحصل به الخيرة. ولذلك روينا في القول الأسدّ «فُرَّ من المجذوم فرارك من الأسد». وقد جمع بين هذا الحديث وحديث «لا عدوى ولا طيرة»، جماعة من العلماء الخيرة، كما تقدم في المقدمة، والله أعلم بكل مكرمة.

ورأيت في زماني من البرصان، من لا عيرة به الآن، إلاَّ رجلان مستوران، أحدهما مفتي دار العدل بالشام. وثانيهما أحد الأعيان ببلد الله الحرام، عافاني الله وإياهما من ذلك، وسلك بنا أحسن المسالك. ثم قصدت في التحذير من البرص عجباً وهو في كتاب درر أنباء، نجباء الأبناء، للإمام الحافظ الأبرّ، أبي عبد الله محمد بن ظفر. فقال: درة زين لغرة عين وملخصها.

حكي أن النعمان بن المنذر كان معجباً بالربيع بن زياد العبسي وكان يفد عليه فيُحسن نزله ويجزل صلته. فبينما هو عنده وفد عليه وفد بني جعفر منهم عامر بن الطفيل وغيره من قومه. وكان الربيع يسخر بالجعفريين ويغمزهم عند الملك النعمان [٤٥-أ] وينتقصهم بحضرة الوفود، لما كان بين هوازن وغطفان من العداوة. فلم يزل الربيع بن زياد يفعل ذلك حتى صرف وجه الملك عنهم. وكان مع الجعفريين ابن أخيهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر وهو يومئذ غلام يتيم كان أبوه قُتل، وكانوا يخلّفونه في رِحالهم يحفظها ويرعى رواحلهم. وكان الجعفريون إذا رجعوا إلى رحالهم يتشاكون ما يلقونه من الربيع من سوء محضره وبذيء لسانه، فقال بعضهم لبعض عندما ضاق ذرعهم: ارجعوا بنا إلى أهلينا ولا نعرّض أحسابنا إلى هذا الكلب يُضحك الوفود بنا، فسمعهم لبيد فسألهم عن أمرهم فقالوا له: خالك الربيع بن زياد يؤذينا عند الملك ويُضحكه منا ويُضحك الوفود بنا، وكانت أم لبيد عبسية من قوم الربيع، فقال لهم لبيد: انطلقوا بي معكم فإني أكفيكم أمره، فزجره أعمامه. فقال لهم: إني والله لا أُسرج لكم راحلة ولا أحفظ لكم متاعاً إلا أن تنطلقوا بي معكم. فلما رأوا الجد منه قالوا: نبيت ونرى رأيك. فلما جاء الليل جعل القوم يرمقونه فإذا هو قد ركب [٤٥-ب] بعض رَواحلهم وهو يهدر كما يهدر الفحْل، ثم إنه نام بعد ذلك واستيقظ عمه طفيل بن مالك مهموماً، فقال

لعامر: انظر إلى ابن أخيك نائماً كأنّ عنقه عنق غزال، وأنت تريد أن تعرض عرضك للمفاضح من أجله. فأيقظه عامر وقال له: قم فانظر ما تلقى به الناس غداً فإنه مشهد عظيم. قال له لبيد: يا عم، إن لم يكن عندي بديهة، فما عندي غيرها. فلما أصبحوا قال له عامر وطفيل: ألا نبلوك بشيء ؛ قال: بلى، فقالا: صف لنا هذه البقلة وهي نابتة بين أيديهم في الأرض. فوصفها لهم بأوصاف ذميمة، أقرّ الله بها قلوبهم السقيمة. وقد تركتُ التطويل بذكرها ولبراجعها طالبها في أصلها. ثم انحرف لبيب إلى أعمامه فقال لهم: القَواْ بي أخا بني عبس، أُرجعه عنكم بتعس ونكس، فحلقوا رأسه وألبسوه حلة وانطلقوا به حتى انتهوْا به إلى الملك وهو في قبة له، وحوله الناس وهو مع الربيع يؤاكله، فناداه لبيد من وراء القبة بسجعات صلْبة فلما سمعها النعمان أذن لهم فدخلوا فأدناهم إلى المائدة وبسط الملك والربيع يده.

فقال لبيد يخاطب النعمان ببيت مفرد:

[٤٦-أ]

أنـ ـا لبيـ ـد ثـ ـم مـ ـاري السُّـ ـرَعَـ ـة   مهـ ـلاً - أبَيْتَ اللّعـ ـن - لا تأكل معه

فقال النعمان: ولم يا غلام؟ فقال لبيد

إن اسْـ ـتَه مـ ـن بـ . ـرصٍ مفقّع . ـة   وإنـ . ـه يُدخـ . ـل فيهـ . ـا إصبعـ ـه

يُدخلهـ . ـا حتـ ـى تـ ـواري أسـ ـجفه   كأنـ . ـه يطلـ . ـب شـ ـيئـ ـاً ضيّعـ ـه

فقال النعمان: أفسدتَ طعامنا يا غلام. فقال لبيد:

نحـ . ـن بنـ ـو أم السـ ـنين الأربعـ ـة   نحـ ـن خيِـ ـار عامـ ـر بـ ـن صعصعة

المطعميـ . ـن الحفيـ . ـة المدعدعة   والضاربيـ ـن الهام تحـ ـت الخنصعة

أكـ . ـلّ يـ . ـومٍ هامتـ . ـي مقرّعـ ـة   يـ ـارُبّ هيجـ ـا هـ ـي خير مـ ـن دعة

إليـ ـك جاوزنـ ـا بـ . ـلاداً مُضْيعـ ـة   والفلـ ـوات عنـ ـد ذاك المضيعـ . ـة

فقال النعمان: أفّ لهذا الطعام، ثم أقبل على الربيع بن زياد فقال له: ما أنت بآكل معنا بعد اليوم. فقال الربيع: كذَب هذا أيها الملك - أبيتَ اللّعن - ما أنا كما ذكر، إلى غير هذا مما قاله في الأصل واشتهر. ثم بعث النعمان إلى الربيع وأسرج خيله وأمره

بالرحَيل عنه. فقال له الربيع: لستُ براحل حتى تبعث إليّ من ينظرني ليعلم الملك كذب من رماني بما ليس فيّ، فأرسل له النعمان بثلاثة أبيات يقول فيها:

شد رّدْ برحْل . ك حيـ ث شـ ئت ولا تُك . ثر علَ . يّ ودعْ عنك الأقاويلا

[٤٦-ب]

والحقْ بحيـ ث رأيتَ الأرضَ واسعة واشددْ بها الطرق إن عرضاً وإن طولاً

قد قيـ . ل ذلـ ك إن حقـ اً وإن كذباً فمـ ا اعتـ . ذارك مـ ن قولٍ إذا قيلا

انتهى ملخصاً. فكان الجزاء من جنس العمل والبادي أظلم. والله تعالى أعلم.

وأما حديث أويْس القرني رأس التابعين من أهل اليمن فذكرهُ جماعة من علماء الدين، فقال منهم العلاّمة الحجة مجد الدين المبارك بن الأثير الشيباني العمدة في كتابه المختار، في مناقب الأخيار، ما ملخصه: أويْس بن عامر بن مرّة بن مالك القرني من أعلام التابعين ومقدّميهم، وعلَم الأصفياء من الزهاد، بشّر به النبي ﷺ وأوصى أصحابه بطلب الدعاء منه. قال أسيد بن جابر: كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا أتتْ عليه أمداد اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر حتى أتى على أويس فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم، قال: كان بك برصٌ فبرئتَ منه إلاّ موضع درهم؟ قال: نعم. قال: لك والدة؟ قال: نعم. قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول «يأتي عليكم أويْس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد [٤٧- أ] من قرن، كان به برصٌ فبرئ منه إلاّ موضع درهم، له والدة وهو بها برّ، لو أقسم على الله عزّ وجل لأبرّه. فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل» فاستغفر لي فاستغفر له. فقال عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة، قال: ألا أكتبُ لك إلى عاملها فيُستوصَى بك. فقال: لأن أكون من غبراء الناس أحب إليّ .... الخبر. وفي رواية مالك عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مطولا: قال رسول الله ﷺ «إن الله عز وجلّ يحب مِن خلقه الأصفياء الأحفياء الأبرياء الشعثة رؤوسهم المغبرة وجوههم، المخمصة بطونهم، الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذَنْ لهم وإن خطبوا المنعّمات لم ينكحوا، وإن غابوا لم يُفتَقدوا، وإن طلعوا لم يُفرح بطلعتهم وإن مرضوا لم يعادوا، وإن ماتوا لم يُشهدوا. قالوا: يا رسول الله كيف لنا برجل منهم؟ قال ذاك أويْس القرني»، قال ﷺ «هو أشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين، معتدل القامة، آدم شديد الأدمة، ضارب بذقنه إلى صدره، رامٍ ببصره إلى

موضع سجوده، واضع يمينه على شماله [٤٧-ب] يتلو القرآن ويبكي على نفسه، ذو طمريْن لا يُؤبَهُ له. متّزر بإزار صوف ورداء صوف مجهول في الأرض، معروف في السماء لو أقسم على الله لأبرّ قسمه. ألا وإنّ تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء. ألا وإنه إذا كان يوم القيامة قيل للعباد ادخلوا الجنة، فيقال لأويْس: قف فاشفع، فيُشفعه الله - عز وجل - في مثل ربيعه ومضر. يا عُمر وعلي إذا أنتما لقيتماه فاطلبا إليه أن يستغفر لكما، يُغفر الله لكما». قال: فمكثا يطلبانه عشر سنين لا يقدران عليه. فلما كان في آخر السنة التي هلك فيها عمر قام على أبي قبيس فنادى بأعلى صوته: يا أهل الحجيج من اليمن أفيكم أويْس؟ فقام شيخ كبير طويل اللحية فقال: إنا لا ندري ما أويْس ولكن ابن أخٍ لي يقال أويس وهو أجهل ذكرا وأقل مالاً وأهون أمراً من أن نرفعه إليك وإنه ليرعى إبلنا، حقير بين أظهرنا، فعمّى عليه كأنه لا يريده. وقال: أين ابن أخيك هذا؟ أبِحَرَمِنا هو؟ قال: نعم، قال: وأين يُصاب؟ قال: بِأراكِ عرفات. [٤٨-أ] قال: فركب عُمر وعلي سراعاً إلى عرفات فإذا هو قائم يصلي إلى شجرة، والإبل حوله ترعى، فشدَّا حِماريْهما ثم أقبلا إليه، فقالا: السلام عليك ورحمة الله، فخفَّف أويْس الصلاة ثم قال: السلام عليكما ورحمة الله. قالا: مَن الرجل؟ قال: راعي إبل، وأجير قوم. قالا: لسنا نسألك عن الرعاية ولا عن الإجارة، ما اسمك؟ قال: عبد الله. قالا: قد علمنا أن أهل السماوات والأرض كلهم عبيد الله. فما اسمك الذي سمّتْك أمك؟ قال: يا هذان ما تريدان إليّ. قالا: وَصَف لنا محمد ﷺ أويْساً القرني فقد عرفنا الشهولة والصهوبة وأخبرنا أنّ تحت منكبك الأيْسر لمعة بيضاء فأوضحها لنا، فإن كانت بك فأنت هو. فأوضح منكبه فإذا اللمعة، فابتدراه بقبلانه وقالا: نشهد أنَّك أويس القرني فاستغفرْ لنا يغفر الله لك. قال: ما أخصُّ باستغفاري نفسي ولا أحدًا من ولد آدم ولكنه في البر والبحر من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات. يا هذان قد شهد الله لكما حالتي وعرفكما أمري. فمن أنتما؟ [٤٨-ب] قال علي: أما هذا فعمر أمير المؤمنين. وأما أنا فعلي بن أبي طالب. فاستوى أويْس قائماً وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. وأنت يا ابن أبي طالب. فجزاكما الله عن هذه الأمة خيراً. قالا: وأنت فجزاك الله عن نفسك خيراً. فقال له عمر: مكانك يرحمك الله حتى أدخل مكة فآتيك بنفقة من عطائي وفضل كسوة من مالي. هذا المكان ميعاد بيني وبينك. قال: يا أمير المؤمنين لا ميعاد بيني وبينك، لا أراك بعد اليوم، فعرّفني ما أصنع بالنفقة؟ ما أصنع بالكسوة؟ أما ترى عليَّ إزاراً من صوف ورداءً

من صوف متى تُراني أخرقهما؟ أما ترى أن نعليّ محصوفتان، متى تُراني أبليهما؟ أما تراني أخذتُ من رعايتي أربعة دراهم متى تراني آكلها؟ يا أمير المؤمنين وإن بين يديّ ويديْك عقبة كؤودا لا يجَاوزها إلاّ ضامر مُخففٌ مهزول، فأخفَّ رحمك الله. فلما سمع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذلك ضرب بيديه الأرض، ثم نادى بأعلى صوته: ألا ليت عمر لم تلده أمه، وألا ليتها كانت عاقراً لم تعاقر حملها، [٤٩-أ] ألاَ مَن يأخذها بما فيها ولها؟ ثم قال: يا أمير المؤمنين خذ هاهنا حتى آخذ هاهنا، فوليّ عمر ناحية مكة وساق أويس إبله فوافى القوم وخلّى عن الرعاية، وأقبل على العبادة حتى لحق بالله عز وجل.

ثم ذكر الإمام مجد الدين ابن الأثير ترجمة أويس القرني مطولة. والذي سُقته منها يعلم بها الكامل أنها مُكملة لأن فيها عبرة للمعتبرين، وتحصل بها الموعظة للمتقين، ويُعلم بها ذوي العاهات، أنه لا يُبْتَلى بها إلا أصحاب الأعمال الصالحـات، الذين يرضون بما قدره الله تعالى عليهم، ولا يتعاظمون على ما نسبه الله إليهم، ولا ينكرون ما أسداه الله لهم من المِحَن بالعاهات، التي تُعدّ لهم منحًا[1] وحسنات، وهم يذكرونها من العيب والسيئات.

ولذلك عرّف المحدثون بها جماعة من أهل الروايات، فقال العلامة عز الدين ابن الأثير أحد الثقات في مؤلفه اللباب في الأنساب: الأبرص: بفتح الألف وسكون الباء الموحدة وفتح الراء وفي آخرها الصاد المهملة. عُرف بها عبد الرحيم بن سعيد الأبرص [٤٩-ب] أخو محمد بن سعيد المصلوب، وكان زنديقاً وغيره من الرواة[2].

والأحدب: بفتح الألف وسكون الحاء المهملة وفتح الدال أيضاً وفي آخرها الباء الموحدة. اشتهر به أبو محمد الربيع بن عبد الله بن خطاف الأحدب لحدَبٍ في ظهره. وهو الانحناء والنتوء، وغيره جماعة منهم: واصل الأحدب[3].

والأحول: بفتح الألف وسكون الحاء هذا من الحوَل في العين. منهم: عامر بن عبد الواحد الأحول من أهل البصرة، وعاصم الأحول كوفي أصله من البصرة ومات سنة اثنين أو ثلاث وأربعين ومائة [١٤٣هـ/ ٧٦٠م]. انتهى[4] كلام ابن الأثير مختصراً.

---

(١) بالأصل منحٌ، والإصلاح مقترَحٌ.
(٢) ابن الأثير (عز الدين): اللباب، ٢٤/١.
(٣) نفس المصدر، ٣٠/١.
(٤) نفس المصدر، ٣٣/١.

وتقدم في أول هذا الباب، عن الشيخ أبي بكر الخوارزمي الأوّاب، من الحوُل ثلاثة وهم: أبان بن عثمان بن عفان، وزياد بن أبيه، وأبو بردة بن أبي موسى الأشعري[1]. وكان كذلك بعدهم الخليفة هشام بن عبد الملك الأموي فلذلك وصفه به في نظمه أبو فراس الفرزدق حين حبسه بعسفان بين مكة والمدينة، لما امتنع السيد زين العابدين علي بن الحسيـ ـن بـ ـن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالقصيدة المشهورة - وقت طوافه بالبيت الشريـ ـف [٥٠-أ] وتقبيل الحجر الأسود، وسأله عنه أهل الشام لما شاهدوا عليه من الهيْبة والسؤدد فقال البيتان المشهوران:

تحبّسـ ـنـ ـي بيـ ـ ـن المديـنـ ـة والتي	إليها قلوب العالمين تهوى منيبها[2]
فقَبّلـ ـتُ رأسـ ـاً لـ ـم يكن رأس سـ ـيدٍ	وعيـنـ ـاً لـ ـ ـه حـ ـولاء بـ ـادٍ عيوبها

ورأيت شيخنا خاتمة الحفاظ الشمسي محمد السخاوي الهمام ذكر في تاريخ المدينة الشريفة أحد الأعلام من التابعين الزاهد القاصد سلمة بن دينار اللبني مولاهم أنه كان أحول أعرج، كما نقله عن ابن حبان وغيره.

وهؤلاء سبعة من الفحول، لهم في زماننا ثامنٌ من الحول، وهو أحد المدرسين، بحرم الله الأمين، شهاب الدين أحمد بن جمال الدين الهيتمي القاهري الملقب بابن حجر، مُشْبِهاً لمن مضى في الأثر، وفرق بين الرجلين في الحفظ والقضاء وصحة العين، وكنتُ أولاً ما ذكرتُه في ذوي العاهات، حتى بارزَني بكتابته على الفتوى والخصومات، التي أراد بها الظهور، وهو قصّام الظهور، فذكرتُه ليعلم خصوصيته، ورحم الله صاحب الحكم، حيث قال في أحوال الأمم: الخمول نعمة وكلٌ يأباه، والظهور نقمة وكل يتمناه، ولله در بعضهم [٥٠-ب] حيث قال في المعنى:

لـ ـذَّ خمولـ ـ ـي وحَـ ـلاَ مـ ـرُّهُ	إذ صانـنـ ـي عـ ـن كل مخلوقِ
نفسـ ـي معشـ ـوقي ولي عبرة	تمنعـ ـي عن بذل معشـ ـوقي

والأعرج: مَن اعتمد على أحد رجليْه ودرج. ذكر منهم جماعة من المتقدمين والمتأخرين. فمن المتقدمين مَن ألّف فيهم الجاحظ، مؤلَّفاً لم أطلع عليه وهو بذكرهم

---

(١) الخوارزمي: مفيد العلوم، ص٤٧٨-٤٧٩.

(٢) كذا ورد البيت بالأصل مختلّ الوزن.

ناهض، وذكر منهم الإمام أبو[١] بكر الخوارزمي ما قدمتُه أول الباب الأول وهم تسعة: أولهم أبو طالب وفي آخر الباب الثاني عطاء بن أبي رباح وأبي الأسود الدؤلي، وغيرهما من أهل المطالب. وذكر بعده العز بن الأثير في الأنساب جماعة من الطلاب كعبد الرحمن بن هرمز صاحب أبي هريرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومـ ن سأذكره غيره منهم إمام المفسرين علاّمة زمخشر أبو القاسم محمود الملقب جار الله، وملك الشرق تيمورلنك الخطاي الأعرج وهو اللنك بلغتهم واسمه محمود أيضًا، والعلاّمة الرحلة أحد المعتبرين وعين المدرّسين جمال الدين وشمس الدين محمد بن ناصر الدين محمد ابن القاضي زين الدين أبي بكر [٥١- أ] العثماني المراغي المدني المقْعد. قال فيه شيخنا الحافظ السخاوي في تاريخ المدينة، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع في ترجمته ما صورته: إن همته عليّة، وبهجته جليّة، مع نقص حركته فإنه من صغره عرض له عارض بحيث أقعد حتى صار يمشي أولاً على عكازيْن ثم بآخره صار يوضع على دكّة لها بِكَرٌ تُسحب بها إلى باب المسجد ويحمله مِن ثم حاملٌ إلى اسطوانة التوبة من الروضة، فيجلس بها أيام الجُمَع ونحوها. وكذا أشهر الحديث ونحو ذلك، وباقي الأيام في بيته ولا يَترك مع ذلك الحج في كل سنة[٢]، نفع الله به.

يقول مؤلفه - غفر الله له - واتفق مثله في المرض والإقعاد لشيخنا القدوة المعمر الأستاذ، عالي الإسناد، عين القراء الأمجاد، شرف الدين عبد الحق السنباطي الشافعي - نفع الله به - وكان يتعكّز على عصاه لعجزه عن الحركة في آخر عمره، وصار أولاده يحملونه على ظهورهم، فحصل الفخر لكلهم. وشاهدتُ فعل ذلك منهم وقت بروزه للمسجد الحرام والطواف به ورآه الخاص والعام، لما جاور بمكة عام وفاته سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة [٩٣١هـ ./ ١٥٢٥م] رحمه الله تعالى ونفع به.

[٥١-ب] وحصل العرج لجدي لأمي المُسند المعمّر الأمجد، فخر الدين أبي بكر أحمد ابن الحافظ تقي الدين محمد بن فهد الهاشمي المكي الهمام، لوقوعه وقت المطر بدرج المسجد الحرام.

---

(١) ورد في الأصل أبا وهو خطأ نحوي.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع ٩: ٥٧.

وللشيخ الجليل الأوحد الأصيل نور الدين أبي الحسن علي بن عبد الرحمن المرشدي الأنصاري المكي لسقوطه من محلٍ عالٍ.

ولشيخنا العلامة النحوي المحبوب، زين الدين أيوب بن عبد السلام الأزهري المكي. لرفص حصل له أيام الحاج، فحصل له بذلك الانزعاج.

وكذا للعلامة الحجة قاضي الشافعية بحلب ومكة كان، كمال الدين محمد بن محمد التادفي لرمي فرسٍ له في هذا الأوان، بلّغه الله وإيانا الأمان، والعفو والرضى، وغفر لمن شاركه في ألَمه ومضى.

إلى غير هذا من العاهات، التي ذكرها في كتبهم العلماء الثقات. وقال: منهم شيخ الأدباء العلامة الحجة، الصلاح الصفدي المحجة، في شرح لامية العجم عند قول الطغرائي المشهور كالعلم:

[٥٢-أ]

لو أن في شد رف المأوى بلوغ مُنىً   لم تبرح الشد مس يوما دارة الحمل

بعد استشهاده بعدة أبيات في خصال مذمومات.

ثم ذكر مَن له شهرة بين المسلمين بخصال من لقبه المبين، منهم: أصحاب النوادر كابن أبي عتيق وأشعب الطامع وأبو الغصن، وجُحا، وأبو ......[1]، وأبو العنبر وأبو العبيس وابن الجصاص ومزيد المدني، وغيرهم ممن ابتُلي بالعاهات من كل ملك ودني. فقال: الإسكندر كان أخصف، أنوشروان كان أعور، ويزدجرد كان أعرج، جذيمة الوضّاح أبرص، النعمان بن المنذر أحمر العينين والشعر، عبد الملك بن مروان كان أبخر، يزيد بن عبد الملك أفْقم، هشام بن عبد الله أحول، مروان الحمار أزرق العينين، عبد الله بن الزبير كوسج، الهادي شفته العليا فيها تقلّص، وكان أبوه المهدي رتّب معه خادماً يلازمه متى غفل وفتح فاه قال له موُصٍ: أطبق، إبراهيم المهدي كان أسود سميناً يلقب بالنصاب. انتهى كلام الصلاح الصفدي في هذا التأليف. [٥٢-ب] وله في ذوي العاهات عدة مؤلفات تقدم ذكر بعضها، لكني لم أطلع عليها جميعها، وفي ذكرها مع غيرها عبرة

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل.

لمن اعتبر، من ذوي الفطنة والنظر، فالله تعالى يبصّرنا بعيوب أنفسنا، ويغفر لنا ما تقدم وتأخر من ذنوبنا، إنه بالآمال كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

تنبيه: حسنة يُدعى بها لاتّقاء البلاء ممن خافه وعاينه. نقل شيخنا العلامة الرباني شهاب الدين أحمد القسطلاني - رحمه الله تعالى - في كتابه المواهب اللدنية العظيمة المعاني ذكر ما يُتّقَى من كل بلاء.

روينا عن أبان بن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قال بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثلاث مرات حين يمسي لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح، ومن قالها حين يُصبح، لم تُصبه فجأة بلاء حتى يمسي» قال فأصاب أبان بن عثمان الفالج فجعل الذي سمِع منه ينظر إليه، فقال له: مالك تنظر إليّ، فوالله ما كذبتُ على عثمان ولا كذب عثمان على رسول الله ﷺ، ولكن اليوم الذي أصابني فيه ما أصابني عميتُ فنسيتُ أن أقولها [٥٣-أ] رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. وعند الترمذي بلفظ: فكان أبان قد أصابه طرف فالجٍ فجعل الرجل ينظر إليه. فقال له أبان: وما تنظر إليّ؟ أما إنّ الحديث كما حدثتك، ولكن لم أقلْه يومئذ ليمنعني الله قدره.

ثم ذكر شيخنا القسطلاني على الولاء، ذكر ما يستجلب به المعافاة من سبعين بلاء. ذكر أبو محمد عبد الله بن محمد المالكي الإفريقي في كتاب أخبار إفريقية[1] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً «من قال بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، عشر مرات برئ من ذنوبه كيوم ولدتْه أمه، وعُوفي من سبعين بلاء من بلاء الدنيا منها الجنون، والجذام، والبرص، والذبح». وشهد له ما رواه الترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله ﷺ «أكثرْ من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولا ملجأ من الله إلاّ إليه، كشف الله عنه سبعين باباً من الضرّ أدناها الفقر»[2]. وروى الطبراني عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «من قال

---

(١) هو كتابه رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية. المالكي: رياض النفوس ج١ ص ٢٨٣! مع بعض اختلاف في رواية الحديث.

(٢) اضطراب في نقل المؤلف تداركناه بما ورد في الكتاب المنقول عنه.

لا حول ولا قوة إلا بالله كان دواء من تسعة وتسعين داء أيْسرها الهمّ[١] [٥٣-ب] إلى غير هذا من آيات الشفاء، والله أعلم بما فيه العافية والاكتفاء، فروينا منها.

..........[٢]

[٥٤-أ] خاتمة الكتاب: في الوارد للإنسان من المصاب، وما يحصل له من الأجر والثواب، من الله الكريم الوهاب.

قال الإمام الأستاذ فقيه بغداد أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي الحنفي المعلوم، في مؤلفه مفيد العلوم، ومبيد الهموم: النوع الرابع عشر: كتاب سلوة العقلاء في الحادث لهم من البلاء[٣].

الباب الثاني: في مخاطبة النفس، لما يعتريها من المرض واللَّأْوَاء واللمس[٤]، يقول لها: يا نفس اصبري فقد قال سيدنا محمد ﷺ «لا خير في بدَن لا يمرض ولا في مال لا يصاب» ويقول لها: أنين المريض تسبيح، وحنينه تهليل. كم قد سلمْتِ ونعمتِ يا نفس فاصبري وتصبّري في هذه الأيام لتنالي أجر الصابرين، فإن صبرتِ مأجوراً لك فهو خير لك من إن صبرت مجبوراً، فاشكري الله تعالى إذ لم يجعل سقمك أكثر من صحتك، فلو أسْقمك جميع عمرك ما كنتِ تصنعين؟ قولي!! أتُحاربِينه أم تخاصمينه؟ العبد عبده والأمْر أمْرُه.

وقال النبي ﷺ «ما أصاب المسلم شيء إلا كان كفارة له» يا نفـ ـس تصبَّري فلعل [٥٤-ب] المرض نصيبك من المصاب في الدنيا، فقد فسر أُبيّ بن كعب رضي الله عنه قوله عز وجل: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ﴾[٥] بأنه المصيبة في الدنيا. ثم يسلِّي نفسه بقول الله تبارك وتعالى بذلك، وبما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾[٦] وأن الله سبحانه وتعالى أخبر المؤمنين أن الدنيا

---

(١) القسطلاني: المواهب اللدنية، ٣/٤٦٦.

(٢) بقية هذه الورقة ٥٥ب وردت بيضاء، لعل المؤلف تركها ليعود إليها فيضيف أحاديث أخرى في الموضوع.

(٣) من هنا إلى نهاية الخاتمة ينقل المؤلف عن الخوارزمي في كتابه مفيد العلوم من ص٢٦٦ إلى ص٢٧٨ وكان في نقوله كثير من التصرف والزيادة والحذف والتعليق.

(٤) كذا بالأصل.

(٥) القرآن: سورة السجدة، آئة: ٢١.

(٦) القرآن: سورة البقرة، آية: ١٥٥.

دار بلاء وأنه مُبْتليهم فيها، وأمَرهم بالصبر فقال عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾(١)) ثم أخبرهم أنه جل وعلا هكذا يفعل بأوليائه وأنبيائه وصفوته يطيب قلوبهم فقال ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾(٢) فالبأساء: الفقر، والضراء: المرض، وزلزلوا بالفتن وأذى الناس إياهم.

فعلى العاقل أن يُسلّي نفسه لدى المصيبة والمرض حتى يجد ثواب الصابرين. قال رسول الله ﷺ: «من استرجع عند المصيبة جبَر الله تعالى مصيبته وأحسن عقباه».

وفي الخبر أنه أُصيب يوم أُحُد من الأنصار أربعة وستون وأصيب من المهاجرين ستة منهم حمزة، رضي الله عنهم. وقال ﷺ [٥٥-أ] «مَنْ يُرِد الله تعالى به خيراً يُصِبْ منه». قال صاحب الغريبين معناه ابتلاه بالمصائب ليثيبه عليها وإن أعرضت عنه الدنيا. وأنشد على نفسه شيئاً من الشعر:

غدرتَ وقـ ـد عزمـ ـتُ على وفاء(٣) ... فمغـ . ـرور بمثلـ ـك مـ . ـن يوثِّـ ـق

فتنفّسـ ـتْ أسـ ـفاً وعضّتْ كفهـ ـا(٤) ... غضبا وقالت: لسـ ـت ممن يعشـ ـق

وتعلّقـ ـتْ يـ ـوم الـ . ـوداع بخصمها ... مثـ . ـل الغريـ ـق بمـ ـن يجد يتعلّـ ـق

ولغيره:

يا ليـ ـت حمُـ ـاهُ لـ ـي كانت مضاعفة ... يومـ . ـا بشـ ـهـ ـر وأنّ الله عافـ ـاه

قد قلـ ـت للسـ ـقم إني لسـ ـتُ أذكره ... وكيـ ـف يذكـ ـره مَـ ـن ليس ينسـ ـاه

غيره:

لمـ ـا عفـ . ـوتُ ولم أحقـ ـدْ على أحدٍ ... أَرْحـ ـتُ نفسـ ـي مِن هـ ـم العـ ـداوات

إنـ ـي أُحيّـ ـي عـ ـدوّي حيـ ـن أُبصِرُه ... لأدفع الشـ . ـرّ عنـ . ـي بالتحيـ ـات

وأُظْهِر البشْـ . ـر للإنسـ ـان أبغضـ ـه ... كأنـ ـه قـ ـد مـ ـلا قلـ ـبي مسـ . ـرات

---

(١) القرآن: سورة البقرة، آية: ١٥٥-١٥٦.

(٢) القرآن: سورة البقرة، آية ٢١٤.

(٣) ورد صدر البيت في المخطوط وفي المنقول عنه مضطرباً فحاولنا إصلاحه.

(٤) ورد صدر هذا البيت في المخطوط بما نصه: وغصب عنها.

ولسد ـت أسْ ـلَمُ ممن لسد ـتُ أعرفه … فكيف أسْ ـلَم من أه . ـل المودَّات؟
الذ ـاس داءٌ، دواء الذ . ـاس تركهمُ … وف . ـي الجف ـاء لهم دفـ ـع الأذيات
فخَالق الناس وأصبـ ـر ما بقيتَ لهم … أصد ـمّ أبكـ . ـم أعمـ . ـى ذا تقيّ ـات

وإن جفاك إخوانك، وكفَروا نعمتك، ولم يشكروا صنيعك، ورأيت ممن أحسنتَ إليه سيئة، أو مرضتَ فلم يَعُدْ، أو قدمتَ فلم يزُرْ، أو تشفَّعتَ فلم يقبل، فلا تغتمّ، وتسَلَّ بهذه الأبيات لأبي بكر الصديق رضوان الله عليه:

تغيـ . ـرّت الأحِبّ . ـة والإخـ . ـاء … وقـ ـلّ الصـ ـدق(١) وانقطـ ـع الرجاءُ

[٥٥-ب]

وأسـ ـلمني الزمـ . ـان إلـ ـى صديق … كثيـ ـر الغـ ـدر ليـ ـس لـ . ـه وفـ ـاءُ
يديمـ . ـون المـ . ـودة مـ . ـا رأوني … ويبقـ ـوا الـ ـود مـ ـا بقـ . ـي اللقـ ـاء
فكـ . ـل مـ . ـودة فـ ـي الله تصفـ ـو … ولا يَصفـ ـو علـ ـى الخلْـ ـق الإخـ ـاء
وكل جراحـ . ـة فلهـ . ـا دواءٌ … وخُلْـ ـق السـ ـوء ليـ ـس لـ . ـه دواء

وإن ضيّع عمره في خدمة مَن لا يعرف حقه، وجمع علوماً فلم ينتفع بها دنيا وأخرى فلْيرثِ نفسه بهذه الأبيات.

جمعـ ـت كنوزا مـ ـن دنانير حكمـ ـة … تُغالـ ـب قلـ ـبً ـا لي مقيماً على الفكر
فسِنٌّ هوى نفسي ستضحك عن غنى … وعين صفـ ـاء القلب تبكي من الفقر
ربحتُ علـ ـى علمـ ـي كنوز مدائحي … وإني لَمنْ صـ ـدق الحقائق في خسر
فأصبحـ ـت مغبوطـ ـاً بظاهر ما أرى … وأصبحـ ـتُ مهموماً بباطن ما أدري
وخصمـ . ـي جبَّار أُقِـ ـرّ لـ ـه بمـ . ـا … فعلتُ ولا يخفـ ـى على علمه أمْـ ـري
عسـ ـى هـ ـو بالإقرار يعفو بفضلـ ـه … وإلاّ فـ ـلا يـ ـزداد بالجحـ ـد في أمري
فأغسـ ـل كالقصّـ ـار عيني بحكمتـ ـي … وإنّ ميـ ـاه البحـ ـر تعجز عن طهري

---

(١) وردت الكلمة في الأصل: الصديق، وبها لا يستقيم الوزن .

[وإن قحطت][1] فقل يا نفس، الشبع يكنَّى أبا الكُفْر، جوعي لتشبعي واشبعي لتستغني، واشبعي لترجعي إلى ربك وإن عمرّتِ إلى الشيخوخة وأنت في خدمة السلطان، فأعلمي أنها مصيبة عظيمة أعظِمْ بها من مصيبة، فمن لم يتفرَّغ إلى ربه في آخر عمره فمَّتى يتفرّغ؟ ومن لم ينتبهْ بعد سبعين حجة فمتى ينتبه وينبغي أن يعاتب نفسه ويقول:

[٥٦-أ]

أيـ ـا ذا الشـ ـيـ ـب مالـ ـك لا تتوبُ — وقـ ـد عالـ ـى بعارضك المشـ ـيب
أبعْدَ الشـ ـيـ ـب تَعْصـ ـي ذا المعالي — جـ ـوادٌ مـ ـاجِـ ـدٌ ربٌ قريـ ـبُ
يجـ ـود بعفـ ـوه والشـ ـيـ ـخ لاهٍ — فأمـ ـر الشـ ـيـ ـخ ويَّحكُ ـمُ عجيب
أسـ ـكّان القبـ ـور متـ ـى التلاقي — وقـ ـد أودي بشمسـ ـكم الغـ ـروب

فاعلم أن النفس ما حمّلتها تحملتْ فإذا هذبتَها وأدّبتها تهون مصائب الدنيا، وإن استرسلتها عقرتْك وآذتْك فتصبح في غمّ وتمسي في هم، فالجهاد الكبير معالجة النفس.

وأنشد الشبلي رحمة الله عليه:

يميـ ـناً صادقـ ـاً حقـ ـاً — بـ ـربّ العرش والكرسـ ـي
فما عالجـ ـت فـ ـي عسـ ـر — كمثـ ـل العُسـ ـر في اليُسر
فـ ـإن صارعتُهـ ـا ويْلي — وإن صارعتهـ ـا عَدْسِـ ـي
مـ ـع الأباليـ ـس إبليس — ومـ ـا الإبليس في النفس

ومن لطيف رياضة النفس، وخلق الإنسان على خلق لا سبيل إلى نقضها، خُلِقَ عجولاً ضعيفاً شهوانياً كارهاً للمصائب، نَفُوراً عن الفقر يخاف الفقر من جِبِلّة النفس والامتناع منها.

ولكن أرشدكم إلى دقيقة لطيفة تميزون بها بين ما هو لله وبين ما هو حظ الشيطان، مثاله إنسان، صائم قد أجهده العطش فنظر إلى ماء باردٍ فلا شك أنه يشتهيه، فاشتهاؤه من فعل الجبلّة، وامتناعه من فعل الإيمان.

---

(١) وردت الكلمة بالأصل: «وبخط» والإصلاح الواقع ما بين عاقفتين من المصدر المنقول عنه.

ورجلٌ نظر إلى امرأة حسناء فلا يقدر أن لا يشتهيها، ولكن غضّ بصره عنها من فعل الإيمان. وحب الرئاسة من طبيعة الإنسان [٥٦-ب] ولكنّ كُفَّ النفس عن الحرام وسفك الدماء وأخذ الأموال من الإيمان، فافهم ذلك وقِسْ عليه.

وفي الجملة أفعال الخير تدلّ على السعادة وأفعال الشرّ تدلّ على الشقاوة، والعاقبة مخفية، والأعمال بخواتيمها. والسلام.

حكاية عن مجاهد - رحمه الله - قال: يُؤتَى بثلاثة يوم القيامة بالغني والمريض والعبد المملوك. فيُقال للغني: ما منعك عن عبادتي؟ فيقول: يارب أكثرتَ مالي فطغيتُ. فيؤتى بسليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في ملكه، فيُقال له: أنت كنتَ أكثر شغلاً من هذا أم هذا؟ فيقول: لا. فيقول إنّ هذا لم يشْغله ذلك عن عبادتي. ثم يؤتى بالمريض فيقول له: ما منعك عن عبادتي؟ فيقول: شغلت بجسدي. فيؤتى بأيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في صبره، فيقول: أنت كنت أشدّ ضُراً من هذا، أم هذا؟ فيقول: بل هذا: فيقال: إن هذا لم يمنعه ذلك عن عبادتي. ثم يؤتى بالمملوك فيُقال: ما منعك عن عبادتي؟ قال: جعلتَ عليّ أرباباً، فيؤتى بيوسف - عليه السلام - فيقال له كالقولين قبله.

فنسأل الله تعالى العافية(١)، وإبلاغنا فضله ونعمته الواقية، وأن يجعلنا ممن إذا أصابته الضراء صبر، وإذا نالته النعماء شكر، وأن يتّعظ بقول الله اللطيف الخبير ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾(٢). ويقول الإمام الأستاذ أبو بكر الخوارزمي فقيه بغداد: إن سبب الحوادث زوال النعم [٥٧-أ] وإنما حدوثها بسبب شؤم عمل الآدمي، إما بترك الشكر وإما بارتكاب المعصية. ويجوز أن يكون معناه في الأغلب والأكثر، فإنّ الأنبياء والأولياء تصيبهم البلايا اللأواء ولا تكون لهم سيئة.

فارجعوا على أنفسكم باللـ وم والتوبيخ ﴿ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ ﴾(٣) يعني: اعلموا أنّ الغبطة كانت مقدّرة بالوقت الذي جاوركم فيه ﴿وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡ ﴾(٤) أي لا تتأشّروا وتبطروا وتتكبّروا على من لم يُؤتَ مثل ما أوتيتم، لأنه عارية عندكم وليس

(١) الخوارزمي: مفيد العلوم، ص٢٦٦-٢٧٣.
(٢) القرآن: سورة الشورى، آية: ٣٠.
(٣) القرآن: سورة الحديد، آية: ٢٣.
(٤) القرآن: نفس الآية.

بملك، فإن حقيقة الملك لله تعالى وليس للمستعير أن يفرح بالعارية لأنه لا يأمَنُ في كل لحظة أن يسترجعها منه صاحبها.

فيا معشر الفضلاء فكّروا، ويا جمهور العقلاء تذكّروا، فجميع أنواع الدنيا وأملاكها من النفوس والأملاك والأموال والأولاد والجاه والحشَم كلها عَوَارٍ مردودة، فانتفعوا بها قبل أوان استرجاعها. ولهذا قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾[1] قال: ليس أحد يفرح ويحزن ولكن إذا أصابته مصيبة جعلها ضرّاً، وإن أصابه خير جعله شكراً. ويسلّي نفسه بقول القائل:

فيا نفس صبراً لسـ ـتِ أول وامقٍ ... ورفقاً فـ إن الحب فيـ ك عجائب

سـ خيٌّ أصابته من الدهـ ـر نكبةٌ ... وأي سـ خي لم تصبـ ـه النوائب

[٥٧-ب] وإن عُوفي من مرضه أو نكبته فلا يأخذه الأشر والبطر، ويقول: تخلّصتُ واسترحتُ، فالدار دار حوادث، وإن القضاء بالمرصاد[2]. فهب أنه نجا من النفس والهوى، فكيف ينجو من الحكم والقضاء، وغيرهما مما قدره الله وأمضى. فإن رسول الله ﷺ والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم يخلّفوا في الدنيا مخلّفاً، فمن لم يتسلّ بهم ويقتدي بسيرتهم فهو مطبوع على قلبه، ولم يُرد الله به خيراً، فرحم الله مَن اقتدى بهم. ويقول ﷺ «الأكثرون هم الأقلّون إلاّ من قال بالمال هكذا وهكذا، وقليل ما هم».

واعلم أنك لو أردتَ أن تجرّب نفسك في ترك الولاية أو تجرع غُصَص، واختيار عزلة لعصتْ نفسك ولو تشفّعتَ إليها بجبريل وميكائيل وكل ولي وزاهد لم تُجب حتى تستشفع إليها بالجوع فحينئذ تطيعك وتتسلّى عن الشهوات واللّذات.

وتذكر هنا قول أبيات:

أراك علـ ـى البطالـ ـة لا تبالـ ـي ... حـ ـلالاً كان كسـ ـبك أم حـ ـرامـ ـا

وتقطـ ـع طـ ـول عمـ ـرك بالتمنّي ... وبالتسـ ـويف عامـ ـاً ثـ ـم[3] عاما

ولو علـ ـم الخلائق سـ ـوء فعلي ... لمـ ـا ردّوا علـ ـى مثلي سـ . ـلاماً

(١) القرآن: سورة الحديد، آية: ٢٣.

(٢) وردت الكلمة بالأصل: المراد.

(٣) بالأصل: بعد، والإصلاح من المنقول منه.

وأعظم مصيبة تنـزل بالإنسان غباوة نفسه، فمن ابتُلِيَ بها قسا قلبه، ولم يخرج عن مصانعة الهوى، ومن كان [٥٨-أ] متابعاً الهوى، كانت النار له مأوى، ومَن جزع في المصائب فقد أرغم القضاء والقدر، كما قيل: لا أرضى بالقسمة، ولا أشكر على النعمة، ولا أستغفر على المصيبة، ولا أصبر على المحنة. فأين(١) حقيقة العبودية؟

قال الشعبي: إني لأُصاب بالمصيبة فأحمد الله عز وجل عليها أربع مرات: أحمده إذ لم تكن أعظم مما هي، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها، وأحمده إذ وفقني الاسترجاع لما أرجو فيه من الثواب، وأحمده إذ لم يجعلها في ديني.

وجيء بنصراني يتطبَّب إلى أبي بكر بن عياش فولّى وجهه إلى الحائط وقال: بعد أن صرفْتَ عني ما هو فيه فاصنع بي ما شئتَ. وأصاب الربيع بن خثم الفالج، فقال: والله ما اختار هذا الذي بي أن يعطيني(٢) الله عز وجل. وقيل له: لو تداويْتَ؟ قال: قد هممتُ ثم ذكرت ثموداً وأصحاب الرسّ كانت لهم أطباء فما بقي المداوي ولا المداوَى. والشاعر يقول:

ما للطبيـب يموت بالـداء الذي ... قد كان يُبرئ منـه في ما مضى

هلك المداوي والمـداوى والذي ... جلَب الدواء وباعه ومَن اشـترى

وقال أخٌ لإبراهيم التيمي وهو في البلاء: لو دعوتَ الله تعالى أن يفرّج عنك؟ قال: إني لاستحي أن أسأله أن يفرّج عني في ما فيه أجر.

ووعظ هارون الرشيد، بما فيه الخير المزيد فقال :أنذكـرك الـذي ملـك، بقـ ـ ول مـن سلك، [٥٨-ب] ما اختلف اللّيل والنهار، ولا دارت نجوم في فلك، إلا تنقّل النعيم عن ملك، قد انقضى مُلْكه إلى ملك(٣)

ولنا في جميع المصاب أسوة حسنة في طلب الثواب بفقد النبي المصطفى، زاده الله فضلاً وشرفاً، القائل: «أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الأولياء» وفي رواية ذكرها المتقون «أشدّ الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون». وفي رواية «يُبْتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان صلْب الدين اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتُلِيَ على حسب ذلك، فما يبرح

---

(١) وردت الكلمة بالأصل: فإن.

(٢) كلمتان غير مقروئتين بالأصل، والإصلاح من النص المنقول عنه.

(٣) كذا ورد النص بالأصل وهو مخالف لما ورد في النص المنقول منه. الخوارزمي: مفيد العلوم، ص٢٧٧.

البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة». إلى غير هذا من الأحاديث الواردة في المرض والابتلاء، والصبر على البلاء. وأعظمها مصيبة الدين، وموت خاتم الأنبياء والمرسلين، فمن أصابه شيء من المرض، أو طرأ له عرض[1]، فليذكر قوله ﷺ الصائب: «إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر مُصيبته بي، فإنها أعظم المصائب». ورحم الله مَن قال في هذا المقال.

اصبر لكل مصيبة وتجلّدِ   واعلم بأن المرء غير مخلّد

وإذا ذكرتَ مصيبة تشجى بها   فاذكر مصابَك بالنبيّ محمد

وهذا آخر ما ذكرته، وفي هذا التأليف أثبتُّه، وقد زدتُ فيه زيادات كثيرة تأتي مقدار أصله [٥٩-أ] رغماً للمعاند المطالب بتمزيقه وغسله، من الجهلة الأطراف، ذوي العقول السّخاف. وليطلع عليه العلماء الظّراف، بعين اللطف والإسعاف. لأنّي قصدتُ بتأليفه الموعظة الصحيحة، والتسلية الصريحة، ليتّعظ به المتّعظون، ويتسلّى بما فيه الطالبون.

وأسأل من الله القبول، ويبلغني به نهاية القصد والسُول، ويكفيني شر الأعداء والحاسدين، بجاه سيد المرسلين، ﷺ، وشرّف وكرم، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وهو بالآمال كفيل.

قال ذلك وكتبه مؤلفه الفقير الحقير، المعترف بالتقصير، الراجي عفو ربه القدير، خادم حديث نبيه المصطفى البشير، المسمى باسمه الأمجد محمد المدعو جار الله بن عبد العزيز بن عمر بن تقي الدين محمد بن فهد الهاشمي المكي الشافعي، لطف الله به والمسلمين أجمعين.

وكتبتُ أصل هذه النسخة بعد غسل الأُولى من المنغّصين، الحُسَّد في الدين، في العشر الأخير من شهر تأليفه وهو شعبان عام ثمان وأربعين وتسعمائة [٩٤٨هـ ./ نوفمبر - ديسمبر ١٥٤١م] بمكة المشرفة. ثم كتابة هذه النسخة بعد نُسَخ متعدّدة وذلك في سلخ جماد الأول عام خمسين وتسعمائة [٩٥٠هـ ./ ٣١ أغسطس ١٥٤٣م] بوادي البرابر، أحد أودية وادي مرّ من أعمال مكة المشرفة. شرفها الله تعالى.

والحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

---

(١) من هنا عاد المؤلف للنقل عن الخوارزمي في مفيد العلوم، ص٢٨٤.

الخاتمة

على الرغم من أنّ موضوع الكتاب محدود الأهمية في ظاهره فإن نصّه يقدّم لنا معلومات كثيرة عن شخصية جار الله بن فهد مما يُكمل بعض عناصر ترجمته الشحيحة. وهو يوضّح جوانب من علاقات العلماء المكيين في ما بينهم وعلاقاتهم بعلماء مصر والشام، وبالأحرى العلاقات الثقافية التي تقوم داخل المجتمع المكي وبين مكة والعواصم الحضارية الأخرى في بلاد الإسلام.

ثبت المصادر والمراجع

- خليفة: حاجي مصطفى بن عبد الله.

كشف الظنون، عن أسامي الكتب والفنون.

نشر: محمد شرف الدين، ط: إسطنبول ١٩٤١- ١٩٤٣م، مجلدان.

- الذهبي: شمس الدين محمد.

تذكرة الحفّاظ. طبع دار إحياء التراث. د. ت.

- الرشيد: د / ناصر

المؤرخون من بني فهد. بحث نُشر في مجلة العرب العدد ١١ و١٢ سنة ١٣٩٧هـ ..

- روزنثال: فرانز.

علم التاريخ عند المسلمين.

ترجمة: د. صالح أحمد العلي، مراجعة: محمد توفيق حسين، نشر: مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٣م.

- السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن.

- الإعلان بالتوبيخ، لمن ذم التاريخ، ط دمشق، ١٣٤٩ هـ ..

الضوء اللامع، لأهل القرن التاسع.

نشر مكتبة حسام الدين المقدسي، ط. القاهرة ١٣٥٣ هـ .، ١٢ جزءًا.

- شافعي: لمياء أحمد

ابن حجر الهيتمي المكي وجهوده في الكتابة التاريخية.

طبع مكتبة ومطبعة الغد، القاهرة سنة ١٤١٨ هـ . / ١٩٩٨م.

- الصفدي: صلاح الدين.

الشعور بالعور.

تحقيق: عبد الرزاق حسين، طبعة: عمان، دار العمار، سنة ١٤١٣ هـ ./١٩٩٢م.

- ابن العماد الحنبلي: عبد الحي.

شذرات الذهب، في أخبار من ذهب.

طبع القاهرة ١٣٥٠هـ ..

- العيدروسي: محيي الدين عبد القادر

النور السافر، عن أخبار القرن العاشر.

طبع بغداد سنة ١٩٣٤م.

- الفاسي: تقي الدين: محمد بن أحمد

العقد الثمين، في تاريخ البلد الأمين.

تحقيق فؤاد سيد ومحمود الطناحي. مطبعة السنة المحمدية القاهرة ١٣٨١هـ ..

- ابن فهد: جار الله محمد بن عبد العزيز.

– حسن القرى في أودية أم القرى.

مخطوط مكتبة الأحقاف باليمن رقم ٩٨.

– النكت الظراف، في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف.

تحقيق د/ لمياء أحمد شافعي. نشر....

– نيل المنى، بذيل بلوغ القرى، لتكملة إتحاف الورى.

تحقيق محمد الحبيب الهيلة، نشر مؤسسة الفرقان، سنة ١٤٢٠هـ ./٢٠٠٠م.

- ابن فهد: نجم الدين عمر بن محمد التقي.

– الدر الكمين بذيل، العقد الثمين، في تاريخ البلد المين.

تحقيق الشيخ ابن دهيش. طبع .....

- معجم شيوخ النجم بن فهد.

- مخطوط الهند، بنكيبور رقم ٧٣٧.

- ابن فهد: عز الدين عبد العزيز بن عمر.

- بلوغ القرى، في ذيل إتحاف الورى، بأخبار أم القرى، تحقيق: صلاح الدين بن خليل بن إبراهيم، عبد الرحمن بن حسين أبو الخيور، عليان بن عبد العالي المحلبدي، طبع: دار القاهرة، سنة ١٤٢٥ هـ ./٢٠٠٥ م، ثلاثة أجزاء.

- القسطلاني: أحمد بن محمد.

المواهب اللدنية، بالمنح المحمدية.

تحقيق: صالح أحمد الشامي، نشر: المكتب الإسلامي ....

- الكتاني: عبد الحي بن عبد الكبير.

فهرس الفهارس والأثبات، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات.

طبع باعتناء وفهرسة: إحسان عباس. ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت سنة ١٤٠٢ هـ ./١٩٨٢ م ١٤٠٦هـ ./١٩٨٦م ثلاثة أجزاء.

- كحالة: عمر رضا.

معجم المؤلفين.

مطبعة: الترقي، دمشق، سنة ، ١٩٥٧ م- ١٩٦١ م، ١٥ جزءًا.

- المحاسبي: الحارث بن أسد.

الرعاية لحقوق الله.

تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط:، نشر: دار الكتب الحديثة بالقاهرة، سنة، ١٣٩٠هـ . - ١٩٧٠ م، ١٥ جزءًا.

- مرداد: أبو الخير عبد الله

المختصر، من كتاب نشر النور والزهر.

طبع عالم المعرفة بجدة سنة ١٤٠٦هـ ..

- الهيلة: محمد الحبيب.

التاريخ والمؤرخون بمكة في القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر.

طبع: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، موسوعة مكة المكرمة - لندن ١٩٩٤.

- ابن الأثير: عز الدين علي بن محمد.

أسد الغابة، في معرفة الصحابة.

ط: المكتبة الإسلامية بطهران سنة ١٣٣٤ هـ ..

اللباب، في تهذيب الأنساب.

طبع دار صادر، بيروت.

- ابن الأثير: المبارك بن محمد.

النهاية في غريب الحديث والأثر.

تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي، طبع: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٤ أجزاء.

- ابن إسحاق: محمد المطلبي.

كتاب السيرة والمغازي.

تحقيق د/ سهيل زكار، ط. دار الفكر بيروت، سنة ١٣٩٨هـ ./١٩٧٨م.

- البخاري: الإمام محمد بن إسماعيل.

التاريخ الصغير.

تحقيق: محمود إبراهيم زائد، نشر: دار الوعي بحلب، ومكتبة دار التراث بالقاهرة.

- الجوهري: إسماعيل بن حماد.

الصحاح = تاج اللغة وصحاح العربية.

تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. طبع القاهرة، سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م.

- خليفة: حاجي مصطفى بن عبد الله.

كشف الظنون، عن أسامي الكتب والفنون. نشر: محمد شرف الدين، ط: اسطنبول ١٩٤١- ١٩٤٣م، مجلدان.

- الخوارزمي: جمال الدين أبو بكر.

مفيد العلوم، ومبيد الهموم.

تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، طبع المكتبة القطرية، بيروت. د. ت.

- الذهبي: شمس الدين محمد.

– تذكرة الحفّاظ.

طبع دار إحياء التراث. د. ت.

– معرفة القراء الكبار، على الطبقات والأعصار. تحقيق بشار عواد معروف ومن معه. طبع مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- روزنثال: فرانز.

علم التاريخ عند المسلمين.

ترجمة: د. صالح أحمد العلي، مراجعة: محمد توفيق حسين. نشر: مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٣م.

- الزمخشري: جار الله محمود بن عمر.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل. في وجوه التأويل.

طبع دار الكتاب العربي، بيروت.

- السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن.

– الإعلان بالتوبيخ، لمن ذم التاريخ. ط دمشق، ١٣٤٩ هـ.

– الضوء اللامع، لأهل القرن التاسع. نشر مكتبة حسام الدين المقدسي، ط. القاهرة ١٣٥٣ هـ، ١٢ جزءًا.

– المقاصد الحسنة، في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة.

تحقيق: عبد الله محمد الصديق، وعبد الوهاب عبد اللطيف، طبع: مكتبة الخانجي بمصر.

- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر.

بغية الوعاة، في طبقات اللغويين والنحاة.

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط القاهرة، ١٣٨٤ ١٣٨٥هـ / ١٩٦٤ - ١٩٦٥م، جزءان.

- الصفدي: صلاح الدين.

الشعور بالعور.

تحقيق: عبد الرزاق حسين، طبعة: عمان، دار العمار، سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- العراقي: زين الدين عبد الرحيم.

كتاب طرح التثريب، في شرح التقريب.

طبع دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت،١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ بيروت.

- ابن العماد الحنبلي: عبد الحي بن علي.

شذرات الذهب، في أخبار من ذهب.

طبع: دار الفكر بيروت، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م..

- العيدروسي: عبد القادر بن شيخ بن عبد الله.

النور السافر، عن أخبار القرن العاشر.

تصحيح: محمد رشيد أفندي، طبع: بغداد، ١٩٣٤م.

- الغزي: نجم الدين محمد بن محمد.

الكواكب السائرة، بأعيان المائة العاشرة.

تحقيق: جبرائل سليمان جبــور، نشر: محمد أمين دمج، بيروت، د. ت.

- ابن فهد: جار الله محمد بن عبد العزيز.

نيل المنى، بذيل بلوغ القرى، لتكملة إتحاف الورى.

تحقيق محمد الحبيب الهيلة، نشر مؤسسة القرقان، سنة ١٤٢٠هــ/٢٠٠٠م.

- ابن فهد: نجم الدين عمر بن محمد التقي.

الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين.

تحقيق الشيخ عبد الملك بن دهيش. طبع دار الخضر للطباعة والنشر، سنة ٢٠٠٠م، بيروت، لبنان.

- ابن فهد: عز الدين عبد العزيز بن عمر.

بلوغ القرى، في ذيل إتحاف الورى، بأخبار أم القرى.

تحقيق: صلاح الدين بن خليل بن إبراهيم، عبد الرحمن بن حسين أبو الخيور، عليان بن عبد العالي المحلبدي، طبع: دار القاهرة، سنة ١٤٢٥هــ/ ٢٠٠٥م، ثلاثة أجزاء.

- القسطلاني: أحمد بن محمد.

المواهب اللدنية، بالمنح المحمدية. تحقيق: صالح أحمد الشامي، نشر: المكتب الإسلامي.

- الكتاني: عبد الحي بن عبد الكبير.

فهرس الفهارس والأثبات، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات.

طبع باعتناء وفهرسة: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت سنة ١٤٠٢هــ /١٩٨٢م ١٤٠٦هــ/١٩٨٦م ثلاثة أجزاء.

- كحالة: عمر رضا.

معجم المؤلفين. مطبعة: الترقي، دمشق، سنة ، ١٩٥٧م-١٩٦١م، ١٥ جزءًا.

- المالكي: أبو بكر الإفريقي.

رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وتونس.

تحقيق بشير البكوش ومحمد العروسي المطوي. نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٣ هـ. ثلاثة أجزاء.

- الماوردي: أبو الحسن علي البصري.

كتاب أدب الدنيا والدين.

تحقيق: محمد صباح، دار مكتبة الحياة، بيروت.

- المحاسبي: الحارث بن أسد.

الرعاية لحقوق الله.

تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط، نشر: دار الكتب الحديثة بالقاهرة، سنة، ١٣٩٠هـ -١٩٧٠م، ١٥ جزءًا.

- مرداد: أبو الخير عبد الله بن أحمد المكي.

المختصر، من كتاب نشر النور والزهر، في تراجم أفاضل مكة. اختصار وترتيب: محمد سعيد العامودي، وأحمد علي، طبع: عالم المعرفة، جدة، سنة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ١٥ جزءًا.

- الهيلة: محمد الحبيب.

التاريخ والمؤرخون بمكة في القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر.

طبع: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، موسوعة مكة المكرمة - لندن ١٩٩٤.

المحتويات

موضوع | صفحة